بسم الله الرحمن الرحيم

النهضة الحسينية

مقارنة بين كلمتين لقائد
الثورة الإسلامية آية الله
السيد علي الخامنئي (حفظهُ الله)

تحت عنوان أسباب نهضة الإمام الحسين،
التي ألقيت في عامي ١٣٦١ و١٣٦٣هـ. ش
(١٩٨٢و١٩٨٤م)

ترجمة: حسين الحيدري

النهضة الحسينية

مقارنة بين كلمتين لقائد الثورة الإسلامية آية الله السيد علي الخامنئي (حفظه الله) تحت عنوان أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام

الإعداد: مديرية الزوار غير الإيرانيين

ترجمة: حسين الحيدري

التصحيح و التنقيح: سيد حسن مددي الموسوي

الطباعة: مؤسسة القدس الثقافية

الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ.ق - ٢٠١٦ م

عدد النسخ: ١٠٠٠٠

الفهرس

مقـــدّمة

٧

تمهيد وتوطئة

١١

المدخل

١٥

مسابقة علمية

٧٥

مقـــدّمة

عَنْ عَبْدِ السَّلام الْهَرَوِيِّ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام، قَالَ:

«رَحِمَ اللهُ عَبْداً أَحْيَا أَمْرَنَا»، قُلْتُ: كَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: «يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ، فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا».

(عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٣٠٧)

إنّ من لطف الله تعالى بعباده وفضله العظيم عليهم أن جعل الأئمّة المعصومين عليهم السلام بين ظهرانيهم، ليقفوا على سيرتهم الرّبّانيّة عند مشاهدة نهجهم الرّاجح وطريقهم الواضح، لينالوا السّعادة السّرمديّة، ما داموا يتّبعون وصاياهم الرّشيدة وتعليماتهم الحميدة.

ولا جرم أنّ أرض مشهد روضة من رياض الجنّة، إذ تضمّ بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ألا وهو الكوكب الثّامن من كواكب الإمامة، ومعالم النّور والكرامة، الإمام الهمام، والحجّة على الأنام، عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، حيث يؤمّ قبره الشّريف سنويًّا الملايين، وتهفو إلى بقعته الطّاهرة جموع الوالهين، قاصدين رحابه من داخل إيران وخارجها، ليرووا ظمأهم من نمير معارف أهل البيت عليهم السلام، وينهلوا من علومهم.

إنّ الفريق الّذي يخفّ إلى خدمة هذا الرّحاب الشّريف للعتبة الرّضويّة المقدّسة، يحتفي بزوّار الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، حتّى يؤدّوا مراسيم زيارتهم بطمأنينة وسلام، وينعموا بالفضاء الرّوحيّ الّذي يسود هذا الرّحاب الإلهيّ.

وتستنفد مديريّة الزّوّار غير الإيرانيّين في العتبة الرّضويّة المقدّسة جهدها على الدّوام في عرض آداب أهل البيت عليهم السلام -وخاصّة الإمام الرّضا عليه السلام- وتعريف سجاياهم وطرز سيرتهم على أوليائهم ومحبّيهم بأنماط شتّى، عملًا بوصايا مرشد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة مدّ ظلّه الوارف، وامتثالًا لأوامر سادن العتبة الرّضويّة المقدّسة، وتطبيقًا للخطّة العشرينيّة للعتبة الرّضويّة المقدّسة، ونشرًا للثّقافة الإسلاميّة وحضارتها الّتي تلبّي ما يحتاج إليه الزّوّار غير الإيرانيّين، لتنمية بصائرهم وتقوية معنويّاتهم.

ومن المساعي العالميّة للمديريّة في خدمة زوّار الإمام الرّضا عليه السلام غير الإيرانيّين هي: إقامة برامج ثقافيّة خاصّة، وتشكيل حلقات «المعرفة»، ورعاية المجالس التخصّصية، وعقد النّدوات العلميّة، وفتح الدّورات والورش التّعليميّة، وإجراء المباريات الثّقافيّة، وإحياء الأمسيات الشّعريّة، والتّحضير لمراسيم اعتناق الإسلام، وإقامة اجتماعات أهل الخبرة والمفكّرين، وتسلّم الرّسائل والإجابة عنها، وإرسال الكتب والمنشورات الثّقافيّة إلى أرجاء العالم، والإجابة عن المسائل الشّرعيّة والعقائديّة، والإشراف على الحوارات في الإنترنيت (Razavi Talk)، والتّأليف في مجال المعارف الإسلاميّة الأصيلة وترجمتها بلغات مختلفة.

ونأمل من ذلك أن يصل نداء الإسلام الأصيل إلى أطراف المعمورة وأكنافها، وينتهي إلى أسماع أناس أبدانهم حاضرة، وقلوبهم غائبة، وهم إلى الإسلام تائقون، وإلى الحقّ طالبون، فيعودوا إلى فطرتهم، ويراجعوا أنفسهم، ويزكّوا أنفسهم، فيعمّ العالم الإسلام، ويسوده السّلام والوئام.

كما نرجو أن ينتفع بهذا الكتاب اليوم من ينهم في العلم، ويمعن في الحقّ، وأن يزداد بمطالعته الزّوّار ومحبّو أهل البيت: علمًا وبصيرة، وأن يتقبّله الله منّا بقبول حسن، إنّه سميع عليم.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَ مَتِّعْني بِهُدًى صالِحٍ لا اَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَ طَريقَةِ حَقٍّ لا اَزيغُ عَنْها، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لااَشُكُّ فيها، وَ عَمِّرْني ما كانَ عُمْري بِذْلَةً في طاعَتِكَ [1].

مديريّة الزّوّار غير الإيرانيّين في العتبة الرّضويّة المقدّسة

١. جزء من الدعاء الأول للصحيفة السجادية.

تمهيد و توطئة

من أهم المحاور التي ركّز عليها قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي بإلمام و دقّة و دراسة نقدية، هو دراسة التاريخ الإسلامي، دراسة علميّة متناسبة مع الاوضاع الراهنة، يقدّم فيها تحليلاً تاريخيّاً شاملاً لكافّة فترات حياة الأئمة الأطهار عليهم السلام البالغة «٢٥٠ عاماً»، كشخصيّة موحّدة.

إنّ دراسة أعظم إنتفاضة تاريخية، حركة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، تعتبر إحدى المواضيع التي شغلت الأذهان و انهمك العديد من علماء الإسلام وآخرون بدراسة زواياها المختلفة. علماً بانّ «ثورة الإمام الحسين عليه السلام» تعدّ من ضمن البحوث التي شغلت افكار كبار المفكّرين، سيّما الظروف التي نعيشها اليوم، كما قدّم هؤلاء آراء مختلفة في هذا المجال.

منها ما اعربه المرشد الأعلى للثورة الإسلامية (حفظه الله) حول حركة الإمام الحسين عليه السلام في اكثر من موضع، حيث يستلهم منه عشرات الدروس و العبر، لتربية المجتمع.

أشار سماحته في كلماته وخطاباته عن دور عاشوراء في حياة الشيعة على مدى الزمن، وعن ظروف المجتمع الذي كان يعيشه الإمام آنذاك؛ عن دروس عاشوراء، والتقسيم الثلاثي للظالم و المظلوم و المنظلم، ورسائل عاشوراء وأبعاد القضية الحسينية، والمقارنة بين النهضة الحسينية و الثورة الخمينية، وآثارها العرفانية و الروحية ومنزلة شهداء كربلاء و مكانتهم و سرّ

خلود عاشوراء و دوامه، فهذه موضوعات من بين كلمات المرشد الأعلى للثورة الإسلامية التي يمكن طرحها في إطار خطاب واحد. كما نوّه سماحته؛ أنّه و بالرغم من كل تلك الدروس، يوجد هناك درس رئيسي يجعل ماسواه هامشيّاً و هو سر حركة الإمام و نهضته؟

من بين المحاضرات الموجودة لسماحته، و الموضوع الأول الذي ناقشه بشكل مستفيض حول أسباب ودواعي انتفاضة الإمام الحسين عليه السلام، يرجع ذلك الى عام ١٣٦١ هـ. ش (١٩٨٢ م)، حيث قال سماحته: نحن قمنا بطرح هذه الموضوعات و سردها، زمن الإختناق السائد، قبل إنتصار الثورة الإسلامية على شاكلة قصص و أمثال؛ و التحليل الذي يقدّمه المرشد حول دواعي إنتفاضة الإمام الحسين عليه السلام، هو في غاية البلاغة و المنطق و الدّقة، بحيث أصبح من المقرّر أن يكون الخطاب الخامس من ضمن سلسلة مقالات نشرتها مؤسسة صهباء، تحت عنوان «النهضة الحسينية»، تخصيصاً بهذا الموضوع. مضافاً إلى تلك المحاضرة، ألقى سماحته كلمتين هامّتين في عامي ١٣٦٣ و ١٣٧٤ (هـ. ش) حول هذا الموضوع، طُبعت في عام ١٣٧٤ (هـ. ش)تحت عنوان «إنسان بعمر ٢٥٠ عاما».

و الكلمتان بشكل عام تدوران حول محور واحد، و إن تتكرّر فيها بعض المطالب، إلّا ان الأولى قويّة في الوصف و التحليل و الأخرى في الأمثال و الروايات التاريخية.

تم إدراج الكلمة الأولى في تاريخ ١٣٦١ (هـ. ش) باللون الرمادي و الكلمة الثانية في تاريخ ١٣٦٣(هـ. ش) باللون الأسود، و قد تمّ ذكر التصريحات كما هي. و من أجل الحفاظ على ترابط فحوى موضوعات الكتاب، و في حالات محدودة جدّاً، تم حذف المباحث التي لا تمتّ بصلة مباشرة مع مسار الموضوع، أو بسبب مقارنة الكلمتين، أصبحت مكررة، و التي تم تحديدها بعلامة (...).

إذا ما كانت عبارة «عليه السلام» أو ماشابه ذلك موجودة في الكلمة، تم وضعها كما هي و التي مذكورة أعلاه. و إذا ذُكر إسم المعصوم دون هذه العبارات و العناوين مثل «حضرة» و «الإمام»، تم إستخدام عليه السلام أو ما شابه ذلك.

و في أيّ مقام قام فيه المرشد الأعلى (حفظه الله) بالحديث عن أسباب نهضة الإمام الحسين، عادة تطرّق الى الثورة الإسلامية أيضاً، بعبارات مثل «قام شعبنا بعمل بمحاذاة ما قام به الحسين و سار حسين زمانه، إمامه و قائده الكبير»، و «مع انتصار الثورة الإسلامية، تحققت آمال المسلمين المؤمنين المنتظرة منذ قرون أمام الأنظمة الفاسدة و المستبدّة»، «و ها نحن اليوم لانعتبر أنّ الحرب قد انتهت. نحن اليوم لانعتبر أنّ الحركة الحسينية قد انتهت في أوساط مجتمعنا. نحن لازلنا نسير في طريق كربلاء و عاشوراء».

ونحن اليوم و في الاوضاع الراهنة بحاجة إلى أصحاب مخلصين، صادقين، مطيعين و فدائيين، أو بالحرف الواحد

عاشورائيين، يقفوا أمام يزيديّ هذا الزمان، استمراراً لحركة الإمام عليه السلام التي نهض بها لإحياء الإسلام و بسط النظام الإسلامي، حركة يوصلها إلى الغاية المنشودة . إن شاء الله.

محرم الحرام ١٤٣٦ هـ ق، آبان١٣٩٣هـ ش

المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

السّلام عليكم و رحمةالله

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الحمدُ لله على نعمه كلّها و الحمدُ لله بمحامده كلّها، أحمده و أستعينه و أستغفره و أتوكّل عليه و أصلّي و أسلّم على حبيبه و نجيبه و خيرته في خلقه، حافظ سرّه و مبلّغ رسالاته، بشير رحمته و نذير نقمته، سيّدنا و نبيّنا أبي القاسم محمّد، و على أهل بيته الطيّبين الطّاهرين المعصومين، سيّما بقيّة الله في الأرضين و على أئمّة المسلمين و حماة المستضعفين و هداة المؤمنين. قال الله الحكيم في كتابه: «وجعلناهم أئمّةً يهدون بأمرنا و أوحينا اليهم فعل الخيرات و إقام الصّلاة و إيتاء الزكاة و كانوا لنا عابدين»[١]. بمناسبة ذكرى أيّام محرم التاريخية و المليئة بالذكريات، من المناسب جدّاً أن نخصص موضوع البحث حول نهضة أبي عبدالله عليه السلام التاريخية و العظيمة، و نتحدّث أكثر حول هذا الحدث الفريد، و الذي لم يحدث قبله و بعده بهذه العظمة و بهذا التأثير الكبير في العالم. في حقيقة الأمر لازالت أبعاد هذه الواقعة العظيمة و المدهشة لم تتضح -كما يجب- للناس في العالم، كما أنّها أيضاً لازالت غير معروفة عند المسلمين بشكل كامل، وحتى لشعبنا الذي يعرف بالحسين و ولاءه بهذا الإمام، و ذكرى الإمام الحسين

١. سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

بـن علـي عليه السلام و عاشـوراء و محـرم جـزء لايتجـزّأ مـن تقاليـده و منـذ قـرون عديـدة لـم ينفصـل عنـه، لازالـت هـذه الواقعـة غيـر معروفـة لديهـم و لـم تأخـذ مكانتهـا فـي أوسـاطهم كمـا ينبغـي. وبفضـل مـن الله سـبحانه و تعالى و بوعـي المواطنيـن، خاصّـة بالتزامـن مـع الحركـة الثوريـة فـي السـنوات الأخيـرة، و فـي العقديـن الأخيريـن، تـمّ الحديـث علـى قضايـا جديـدة و مهمّـة حـول عاشـوراء، كمـا أنّ المفكّريـن و الكتّـاب و الذيـن نظـروا بإمعـانٍ و دقّـة إلـى هـذه الواقعـة، قامـوا بكتابـة مقـالات و ايـراء محـاور هامّـة بإمكانهـا إزالـة غبـار النسـيان إلـى حـدّ كبيـر عـن هـذه الواقعـة التاريخيـة المهمّـة، ولكـن لازال للحديـث بقيّـة.

و بالرغـم مـن مـرور أكثـر مـن ألـف و ثلاثمائـة و أربعيـن عامـاً مـن واقعـة عاشـوراء فـي تاريخنـا و لربّمـا فـي تاريـخ البشـرية، لاتـزال هـذه الواقعـة هـي الأعظـم و الأكثـر معنـىً و التـي تكلّلـت بالإخـلاص و التّضحيـة و توقيـع بالـدّم.

و ربّمـا طـوال تاريخنـا و بعـد واقعـة عاشـوراء، لا توجـد حركـة أو نهضـة أو حادثـة دمويّـة تحظـى بأهـداف و غايـات إنسـانية، إلّا و استلهمـت دروسـاً و عبـراً مـن واقعـة عاشـوراء. خلافـاً لجميـع الأحـداث التـي تُحدثُ موجـةً حيـن وقوعهـا، ولكـن كلّ مـا مرّ عليهـا الزمـان، تصبـح هـذه الأمـواج أضعـف و أكثـر هـدوء، فـي حـال أنّ واقعـة عاشـوراء و منـذ زمـن وقوعهـا، كلّ مـا مرّ عليهـا الوقـت و سـنة بعـد سـنة و فتـرة بعـد فتـرة، تتكاثـر و تتضاعـف أمواجهـا و تصبـح مألوفـة و بـارزة أكثـر فأكثـر.

القضية التي تحظى بأهمية كبيرة بالنسبة لنا في هذا البحث، هو أن ندرک مغزى هذه الواقعة و مدلوله و مفهوم هذه الحركة و النهضة بشكل صحيح، لأننا نعتقد .أنّ هذه هي الحقيقة بعينها .و استلهمت ثورتنا من هذه الواقعة و تمّت قيادتها بواسطة هذا الحدث الكبير. قال الإمام الراحل رحمه الله: أنّ شهر محرّم هو الشهر الذي إنتصر فيه الدّم على السيف، و في ذلک الشهر الذي قال فيه الإمام هذا الموضوع، لقد أصبح فيه شهر محرّم تاريخيّاً و مصيريّاً، ممّا لاشک فيه أنّ هذه الكلمة و هذه الحقيقة تستقي حقيقتها و واقعها من ثقافة ما، والحقيقة هي أنّنا نعلم بأنّ ثورتنا جاءت ببركة إفرازات واقعة عاشوراء.

بعد ذلک و من خلال العمل الذي قمنا به بعد إنتصار ثورتنا في التعامل مع القوى العالمية و السياسات القمعيّة المدمّرة، لقد استلهمنا الدروس و العبر من ثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام. لقد تواجد شبابنا بحبّ الحسين و بذكره في ساحات الحرب و ضحّوا بالغالي و النفيس، و ثورتنا و بالرغم من الصعوبات و العقبات الوعرة التي واجهتها و وقفت أمامها، و إستمرّت إلى يومنا هذا بقوّة و صمود، و ستستمرّ بعد هذا إن شاء الله تعالى. لهذا يجب علينا أن نعرف و نستوعب هذه الواقعة بشكل صحيح.

يمكن تبيين واقعة كربلاء بشكلين، الأول سرد الأحداث، و الثاني تفسير الأحداث ذاتها، بحيث تحمل العديد من الرسائل في طيّاتها.

الإمام الحسين عليه السلام طيلة فترة حياته المؤلمة بعد أخيه الحسن بن علي عليه السلام . و التي استغرقت عشر سنوات. كيف كانت حياته؟ و بأي صورة تعامل معها؟ و ما هي ردّة فعله بعد مجيء يزيد للسلطة؟ وبعد ما خرج من المدينة المنوّرة، ما هي الأحداث التي وقعت هناك؟ و عندما جاء إلى مكّة، ما هي الأحداث التي جرت فيها؟ بعد ما خرج من مكّة المكرّمة، ماذا حدث في كلّ منزل في الطريق؟ يعتبر هذا نوعاً من السّرد لواقعة عاشوراء. بالطبع هكذا كان تعريفها و هذا بنفسه، يحمل في طيّاته الكثير من الرسائل و الكلمات العديدة و الكثيرة، و إذا كان من المقرّر أن يفسّر كما هو، يجب أن يكون وصفها بالتفصيل، ولكن لا نريد أن ندخل بالتفصيل في هذه القضيّة.

نريد أن نخرج بنظرة شاملة من واقعة كربلاء، بتحليل كلّ هذه الأحداث و جميع تلك الخطابات، حتّى نعلم و نفهم لماذا قام سيد الشهداء عليه السلام بتلك النهضة. أنا أفضّل أن نتكلّم في الوقت الراهن بهذا الشكل، بالطبع إذا ما أردنا أن نتكلّم بشكل مفصّل، سيستغرق هذا ساعتين أو ثلاث ساعات من الوقت، ولكن أفضّل أن نخرج من هذا الموضوع بأقل من ساعة أو على أكثر التقديرات بساعة واحدة.

قبل ذلك أريد أن أقول مقدّمة، و بعدها ندخل في مفاهيم واقعة كربلاء. كما قلت للإخوة و الأخوات من قبل، و ذلك من خلال الجلسات العديدة و خُطَب الجمعة حول الحكم

في الإسلام و من حيث القوانين الإلهية[1]، أنّ أساس الحكم في الأديان السماويّة، يختلف تماماً عما يعرفه المتمسكون بالشؤون الدنيوية والإمبرياليون و الإنتهازيون من مفهوم الحكم؛ الحكم عند هؤلاء بمعنى السيادة المطلقة على الشعب، و توفير شهواتهم و أهوائهم النّفسّية، و هذا ينطبق على أولئک الحكّام الذين كانوا مدبّرين و لائقين و منصفين و الذين يذكرهم التاريخ بإحسان، أي بقوا خالدين، أو حتّى الذين ذكر عدالتهم التاريخ بشكل خاطئ، أولئک الملوک و السلاطين الذين لم يُعرفوا بالقوّة و السلطة، في الواقع أنهم لأناس ليّنون و ضعفاء، و يهربون بسرعة من هجمات الزمن و صعوبات الأيام، كلّهم شركاء في هذا الإتّجاه و يعتبرون الحكم على الشعب وسيلة لراحتهم و تنعّمهم في الحياة و التمتع بأهوائها على حساب الآخرين. هذا ما يشهده العالم في الوقت الراهن، كلّ من وصل إلى سدانة الحكم، يشعر بأنّه وصل إلى حياة رغيدة و متنعّمة. على صعيد العالم و لربّما في حالات إستثنائية، يمكن القول أن هذه القضية تسير على هذا المنوال.

ولكن في ثقافة الأديان و في الإسلام خاصّة، يعتبر الحكم بمثابة فريضة و واجب و مهمّة صعبة و محفوفة بالمخاطر و مليئة بالحرمان، و بمعنى تقبّل العبء الأكبر من الالتزامات الاجتماعية. ليست القضية أنّه من يصل إلى سدّة الحكم يريد شيئاً لنفسه، و يرى عباد الله أسرى في قبضته أو يريدهم هكذا،

١. لقد طُبعت سلسلة خطب الجمعة هذه في كتاب «الولاية و الحكم».

كما يريد أن ينعم و يعبث و يتفكّه بخيرات الله سبحانه و تعالى في مائدته الملوّنة، لهذا ما هو موجود في قاموس السلطات العالمية و اعرافهم السياسيّة ويطلق عليه بالملكية، يقال له في المصطلح الإسلامي بالإمامة، و إسمه خلافة الله سبحانه و تعالى، إسمه الولاية و التصدّي لشؤون الشعب، أي إشارة إلى المهمّة و الواجب، و التي توجد حتّى في إسم الحكم، بحيث أكبر حركة قام بها الرسول الكريم ﷺ في مجال النظام الإجتماعي و حياة الناس، عبارة عن إنقاذ الناس من حكم الطغاة، و جعلهم يعيشوا و يسيروا على نهج الولاية و ظلّ الإمامة و أن يكونوا عباداً لله سبحانه و تعالى فقط، «الدّعاء إلى طاعة الله عزّ و جلّ من طاعة العباد و إلى عبادة الله من عبادة العباد»[1].

كما جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، ما مضمونه أنّه قام الرسول ﷺ بإنقاذ الناس من عبادة العباد و البشر إلى عبادة الله تعالى و دعاهم إلى العيش تحت ظلال حكم الباري عزّ و جلّ، و التي تعتبر أعظم الحريّات و فيها العزّ و الشموخ للإنسان.

إنّ كافة أنبياء الله و منهم نبيّنا الكريم ﷺ لدى بعثتهم و استلامهم مهام الرسالة السماوية، جاؤوا في الحقيقة بنمط حياة جديد لأبناء البشر، و كان هدفهم الأسمى يتمثّل في تطبيق كافة جوانب و أبعاد هذا النمط في حياتهم الشّخصية اولاً و في حياة المجتمعات في المرحلة اللاحقة.

---

١. الفروع من الكافي، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح٤.

إذا كان هناك من يعتقد أنّ انبياء الله بعثوا لنصيحة الناس و موعظتهم فقط، فإنّه على خطأ. إنّ أنبياء الله لم يبعثوا للنصيحة و نقل الدروس و تنشئة العقول فحسب، بل كانت هذه إحدى مهام الأنبياء و مسؤوليّاتهم و واجباتهم، الرسالة و المهمّة الرئيسة التي جاء الأنبياء من اجلها، هي أن يقوموا بتأسيس مجتمع صالح، و أن ينشئوا عالماً جديداً و حديثاً وفقاً لقوانين الله و أوامره. صراعات الأنبياء كانت تنبع من هذه القضايا، إذاً ما كانت للنصيحة فقط. كما تعلمون أنّ كثيراً من الأنبياء قد إستشهدوا في هذا الطريق، و تحمّل العديد منهم مشقّات و صعوبات كبيرة في حياتهم، كما أنّهم خاضوا صراعات مريرة و شرسة مع الملوك و الأمراء في ذلك الوقت، و هذا كلّه كان من أجل تحقيق أهدافهم المنشودة، لأنّهم أرادوا أن يخرجوا السلطة و الحكم من قبضة الطغاة و المستبدّين و أن ينشئوا عالماً جديداً مبنيّاً على أحكام الله و قوانينه و إرشاداته القويمة. لهذا لقد قام الأنبياء بخوض صراعات و حروب ضدّ حكّام زمانهم، كما حدث في حالات عديدة وفقاً للآية الكريمة التالية: «و كاين من نبيٍّ اتل معه ربّيّونَ كثيرٌ»[1] يروى أن أوّل نبيّ مسك السيف بيده و حارب، هو سيّدنا إبراهيم عليه السلام.

و للأسف لم يصل لدينا تاريخ هؤلاء الأنبياء بالكامل. ما هو متاحٌ لدينا هي السجلّات و التواريخ المشوّهة و المحرّفة، و التي تنقل إمّا من التوراة و هي غير كاملة، أو روايات نقلت من الأفواه و

١. سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

الألسن، و التي لاتعتبر صحيحة أيضاً. في حال أنّ هناک روايات صحيحة رُويت من أهل البيت عليهم السلام، و التي لاتبيّن تفاصيل سيرة الأنبياء و حياتهم. فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: «أوّل من قاتل في سبيل الله، إبراهيم»[1]، هذه روايات تبيّن لنا أنّ أوّل من قاتل في سبيل الله هو إبراهيم عليه السلام. قبل موسى عليه السلام و سليمان عليه السلام و داوود عليه السلام، و قبل الأنبياء المشهورين الذين سمعنا عن حياتهم و حروبهم، قام سيّدنا إبراهيم بالحرب و لوط عليه السلام و الذي على مايبدو أنّه ابن أخت سيّدنا إبراهيم عليه السلام. كان أحد قادة جيش إبراهيم عليه السلام و الذي رفع علماً باسم الله و أعطاه بيد لوط عليه السلام ليذهب و يحارب هناک. إنجرار سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى ساحات الحرب و الصراع، كان من أجل هذا أيضاً، و إلّا إذا كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يريد البقاء في مكّة المكرّمة و نصيحة النّاس، لم يصارعه أحدٌ هناک. كان يخاطبهم بقوله يا أيّها النّاس! لاتعبدوا إلهاً مع الله ولا تظلموا. لكنّهم كانوا يسمعون و يظلمون الناس و يعبدون الأوثان و الأصنام.

كما أنّ الكثير (من العلماء) في زمن الطّغاة كانوا يقومون بالموعظة و النصيحة، يتحدثون عن الأخلاق، ولكن الطغاة لم يتأذّوا من ذلک الكلام و لم يشعروا بالخطر و الإضطراب.

متى يشعر هؤلاء بالخطر؟ في الوقت الذي يقال: أنّ هذا النظام الحاكم في الوقت الراهن الّذي يتحكّم في كلّ صغيرة و كبيرة، أنّه نظام خاطئ و يجب أن يتغيّر. ما معنى تغيير هذا النظام؟

١. بحار الأنوار، كتاب النبوّة، أبواب قصص إبراهيم عليه السلام، الباب ٣، ح ١.

أي يجب أن تذهب الطغاة، يزول الطاغية الكبير، و تغلق كلّ الدروب و الطرق التي تدرّ المنافع المادّية و المعنويّة في خزانات الطغاة، و هذا هو معنى النظام الجديد الذي كان الأنبياء يريدونه، لابدّ أن يزول النظام القديم، و تنفّذ هذه الأعمال، في حينها سيشعر الطاغية بالخطر و عندها تقوم الحرب و الصراع. كما كان هذا الأمر في ثورتنا، لهذا لقد شاهدتم أنّ حسّاسيّة جهاز الطاغية، كان على الإمام أكثر من أيّ شخص آخر، لماذا؟ لأنّ تلك الأجهزة التي كانت في الظاهر مناوئة لحكم الشّاه، لايتكلّمون بشيء عن الشاه و الطاغية و عن النظام الحاكم، كانوا يعترضون و يتكلّمون حول الدولة على اشياء بسيطة، ولكن عندما رأوا أنّ الإمام و أتباعه، قاموا بتلك الحركة الدينية و الشعبية العظيمة ضدّ الشاه آنذاك، اخذوا يتكلّمون ضد الشّاه و النظام جهاراً و كانت لهم دوافع و حوافز في ذلك، لهذا سلّطت الأضواء عليهم بشكل كبير، و كانت هذه حقيقة بارزة، كما لها وجود في كثير من أنحاء العالم، في الوقت الراهن.

حسناً، الآن سأقدم مقدّمةً لتبقى عموميّات في أذهانكم. بعث الله الأنبياء ليصنعوا عالماً جديداً، مثلما جاء به رسولنا الكريم ﷺ و بعث من اجله، فأنشأ عالماً جديداً؛ مجتمع جديد يتمتّع بحكومة تختلف تماماً عن حكومة الطّغاة في أرجاء العالم آنذاك، لم تتشكل أية حكومة كالحكومة التي أنشأها الرسول ﷺ. ماكانت ظروف الحكومة و الحاكم في العالم مثل مدينة النبيّ، و لم تشبه علاقة الحاكم بالشعب في

سائر دول العالم، كما كانت في مدينة النبي ﷺ، و بشكل عام كانت تختلف تماماً عما سواها، كما أنّ إقتصادها كانت لا يمتّ بصلة بالإقتصاد الذي كان موجوداً آنذاك. في جميع أنحاء العالم آنذاك كانت لديهم وجهات نظر حول النّقود و الإقتصاد و التّيارات الماليّة و في اسلوبهم الاقتصاديّ في البلاد، و كانوا يعملون بشكل واحد، اما عمل الرسول ﷺ كان متفاوتاً، لايوجد نموذج إقتصاديّ من حيث الكيفيّة يضاهيه في العالم. كما أنّ علاقات الناس مع بعضهم البعض و المناسبات الإجتماعية في مجتمع النبيّ ﷺ، لم تشبه باقي المجتمعات في العالم. كان نموذجيّاً لا نظير له في أي من أبعاده في باقي نقاط العالم، لايوجد له نظير في العالم. لقد جاء النّبي ﷺ و قام بتأسيس في مثل هذا العالم.

جاء النبيّ ﷺ و اختطّ كافّة أبعاد هذا المجتمع، وعرضها على النّاس و عملت الامّة بما قاله أيضاً. فلم يبقَ شيء يقوله الرسول الكريم ﷺ و لم يعمل به المؤمنون. قال لهم أقيموا الصّلاة، فكان هو أوّل من أقام الصلاة. قال لهم عليكم بالزكاة، و قام هو بجمعها من النّاس. قال للنّاس انفقوا، فقام هو بجمع تبرّعاته و تبرّعات الآخرين و إيصالها إلى المكان المنشود، أمر النّاس بالجهاد و كان هو رمزاً و معلّماً للجهاد، أي انّ جميع الاصول التي كان يعبّر عنها الرسول ﷺ تحت عنوان الدولة الإسلامية، كانت توجد قولاً و فعلاً في ذلك المجتمع الذي أنشأه النبي ﷺ آنذاك. لقد عرض الرسول خطته بشكل جليّ، فعلاً وبياناً للناس.

وبقي هناك حكمٌ واحدٌ من أحكام الشريعة الإسلامية، ذكره الرسول ﷺ و لم يعمل به، قاله و لم يعمل به. كان ذلك ركناً من أركان الدولة الإسلامية، اساساً لذلك المجتمع الذي أنشأه النبي ﷺ، المجتمع الذي لو افترضنا له عشرة أو إثنا عشر ركناً، كان ذلك أحد أركانه، قام النبي ﷺ بتبيين أركان هذا الحكم، كما تحدّث عن مواصفاته، قام بتقديم كافّة التوجيهات و الإرشادات اللازمة، ولكن لم يتمكن الرسول الكريم ﷺ العمل بهذا الركن الأساسي، لم يبقَ مجال للرسول ﷺ أن يقوم بذلك، ما هو ذلك الشيء؟ كان ذلك يتمثّل في واجب الأمّة في حال خروج قطار المجتمع الإسلامي و الدولة الإسلامية المنظّم من مساره الصحيح، و يتغيّر إتّجاهه العام، ماذا كان واجب المسلمين عندئذٍ؟!

حسناً، يعتبر هذا أحد أركان النظام. فرضاً لو تأسست دولة ما، نشأ مجتمع بهذه المواصفات الماديّة و المعنوية و الإقتصادية و الحكومية و غيرها من القضايا، ولكن إذا خرج هذا المجتمع من مساره، سيأتي الطغاة و الظالمون و الغزاة و سيخرجون المجتمع من مضمونه، سيغيّرون شكله، أو اذا غيّروا مضمونه ومفاهيمه دون تغيير ظواهر الحكم، فما هو واجب المسلمين عندئذٍ؟ما الذي يجب على الامّة القيام به؟ فبيان واجب المسلمين في مثل هذه الظروف، حكمٌ من الأحكام الإسلامية أيضاً، إذا يأتي مؤسس الإسلام و يبيّن جميع أحكام الشريعة الإسلامية، و لايبيّن هذا الواجب، على أقل التقديرات، أفلم يكن قد قصّر

في بيانه؟ كان النبي ﷺ قد بيّن هذا الأمر. قال للمسلمين حينها، إذا خرجت الدولة الإسلامية يوماً ما عن مسارها الإسلامي و هذا الإتّجاه الذي يسير فيه المجتمع الإسلامي، فسوف يتغيّر النظام على أيدى المستبدّين و الأقوياء و المنافقين، أو بمكر الذين نكصوا على أعقابهم؛ إذا ما وقعت الأمّة في مثل هذا الإنحراف، ما هو واجبهم؟ هذا ما بيّنه النبيّ ﷺ ولكن لم يعمل به. لماذا؟ لأنّه لطالما كان الرسول ﷺ على قيد الحياة و كانت أزمّة الأمور بيده، لم تنحرف الأمّة عن مسارها مادام النبي ﷺ يعمل به، ولكن ما هو واجب الأمّة الإسلاميّة تجاه الإنحراف الذي لربما سيحدث فيما بعد؟

فاذا حدث هذا الانحراف في زمن خلفاء النبيّ ﷺ، أي إذا اصبح الخلفاء في ظروف خاصّة، بحيث تعرّض المجتمع الإسلامي إلى انحراف شديد، - و من المتوقّع حدوث هذا، و خطره كان يلوح بالأفق، حيث كادت تتغيّر المفاهيم الإسلامية بشكل كامل- في هذه الحالة و في هذا الوقت، ما الذي يجب القيام به؟ هذا ما سيجب فعله من قبل أحد خلفاء النبي ﷺ. من سيكون هذا الخليفة؟ هذا أمر يتعلّق بتلك الظروف الخاصّة في زمن الأئمة الذين جاؤوا بعد النبي ﷺ. لقد بقيت هذه المواصفات بعد النبيّ ﷺ إلى حدّ كبير، وذلك بالرغم من حدوث بعض الإحتكاكات والإصطدامات، بحيث كبّدت تلك الدولة الإلهية الإسلامية الرفيعة، أضرار جسيمة، كما إنشغل المسلمون و ذلك بسبب الفتوحات و بعض القضايا الأخرى، بالمال و بالدنيا و

الثروة و الترف و السرف، و حدث هذا بالفعل و بشكل تدريجي، ولكن لمّا تولّى أمير المؤمنين علي عليه السلام قيادة الأمور، عادت حاكميّة الله من جديد، بعد ما أصبح الإمام علي عليه السلام حاكماً إسلاميّاً يقود المجتمع، و بدلاً من أن يتفاخر و يتكبّر و يتفرعن، عاش مثل الناس، و من حيث المستوى المعيشي، أقلّ مستوىً منهم، حتّى تلك الظروف الصعبة التي مرّ بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إستمرّت بأمير المؤمنين عليه السلام. و من أجل أن ينقذ أمير المؤمنين الناسَ من بذخ الأرستقراطية و الغرق في تلك الحياة المتغطرسة التي كانوا يذهبون تجاهها رويداً رويداً، و تلك البليّة التي كانت كعصر الجاهلية تعيد نفسها ثانية و تهيمن على المجتمع، قام بخلق نمط مختلف في مثل تلك الأجواء.

و بعد إستشهاد الإمام علي عليه السلام، عادت المظاهر و الظواهر الإجتماعية الجاهلية من جديد في المجتمع، نحو إتّجاه حذّر منه الأنبياء و خلفاؤهم النّاس منها من قبل، فبرزت حكومة القوّة و الإستبداد، الأرستقراطية، دولة الرغبات و الأهواء ودولة المقرّبين و الخواص في قمّة الحكم و الحكام، من جديد، اصبح الحكم على أساس القيم الجاهلية، لا القيم الإسلامية، لقد عادت كلّ هذه العادات و التقاليد من جديد، الوضع الذي قد شرحه و بيّنه أمير المؤمنين علي عليه السلام للناس في بداية حكومته:

«ألا و إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

١. نهج البلاغة صبحي صالح، الخطبة ١٦، عند بيعة أهالي المدينة مع أميرالمؤمنين عليه السلام، «ألا و إنَّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم»

هذا الوضع و بالنظر الى الإستبداد الموجود في ذلک الوقت، غير زمن الخلفاء الأوّلين، الخلفاء الرّاشدين. اذ كان يحقّ للنّاس أن يتكلّموا، أن يعبّروا عن إحتياجاتهم، يقوموا عند منبر الخليفة. إذ كان يتمّ التعامل بصرامة مع بعض الذين يحتجّون امام تلک الرجعة الجاهلية، كانت تلک المعاملة مداها على سبيل المثال نفي أبي ذر إلى الربذة، أو ضرب عمّار بمحضر الخليفة، لايتعدّى أكثر من هذا. كان متنفّساً و مجالاً للمؤمنين الصادقين و صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشكل واسع، كان بإمكانهم أن يتكلّموا، يعظوا النّاس في حال مشاهدة رجعتهم إلى القيم الجاهلية و الأوضاع الوثنية التي كانوا عليها؛ ولكن بعد إستشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد هيمن الإختناق و الإستبداد في كلّ مكان و لم يُسمح لأي أحدٍ بالتكلّم.

التاريخ و المشاهد التي يرويها رواة التاريخ عن تلک الأوضاع، أي فترة ما بعد إستشهاد أميرالمؤمنين علي عليه السلام، هي فترة حالكة تبيّن مدى المصيبة المرّة التي عصفت بالناس آنذاک، لاسيّما المسلمين المخلصين و المؤمنين، و التي يندهش منها الإنسان، بحيث نرى انه لم يمرّ أكثر من نصف قرن من رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و مازال الإسلام جديداً، و النّاس جديدي العهد بالإسلام، و هناک مدن و مناطق تدخل الإسلام بشكل تدريجي، تتغير المبادئ الإسلامية بهذا الشكل و يتغيّر كلّ شيء، يحدث ما حدث في مثل تلک الاوضاع.

رُوي عن أبي ذر عن الرسول ﷺ: «إذا بَلَغَ آل أبي العاص ثلاثين»[1]، عندما وصلت أسرة أبي العاص و التي كانت تعتبر إحدى الفروع الرئيسة من بني أمية و من جيل أبي العاص نفسه، الذين حكموا أكثر من خمسين عاماً على العالم الإسلامي، من مروان الحكم حتّى مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية، عندما وصل عدد هؤلاء للثلاثين، يروي أبوذر عن الرسول ﷺ انه قال: «إتّخذوا مال الله دولاً و عباد الله خولاً و دين الله دخلاً». كلّ هذه الحروب التي سار و ثار الإمام الحسين بن علي عليه السلام من أجله، و قد ابتلي العالم الإسلامي قبل نهضة الإمام الحسين بها، كانت على عهد الأمويين.

عهداً كان أعظم محنة و بليّة على الإسلام و المسلمين، و التي يمكن تلخيصها بهذه الجمل الثلاث، التي تشكّل الحدود بين الحكومة المتغطرسة و الحكومة الإلهية، و يتمثّل بهذه النقاط الثلاث:

أوّلاً في الأموال: فقد اعتبرت الدولة الأمويّة الجائرة و المتغطرسة، أموال الله سبحانه و تعالى و ثروات الأرض و بيت المال و الواردات العامّة، بمثابة أموالها، تلك الأموال التي كان من المفروض ان تقسّم على الناس، والإمكانيات التي يجب أن يستفيد الجميع منها، ليس أنّهم لم يعتبروا هذه أموال الناس فحسب، ويحرمونهم من أبسط حقوقهم، ولايقطعون يد الإنتهازيين

١. بحار الأنوار، كتاب الفتن و المحن، الباب ٣١، ح٦.

و المتمكّنين و أصحاب القدرة، بل على عكس ذلك، حرموا الفقراء و الضّعفاء من أموال الله و اعتبروا أموال الناس اموالهم، و أكلوا، هم و من لفّ لفّهم أموال الله سبحانه و تعالى. «إتّخذوا مال الله دولاً»، هذه إحدى مواصفات حكم الطاغية.

و على عكس تلك الغايات السّامية التي كانت تقول بحاكمية الله و التي كانت تعتبر الأموال لله و لعباده و يجب إنفاقها على أضعف عباد‌الله، و يرجّح الفقراء و المحرومين على المتمكّنين و طبقة الأغنياء والأشراف، و يجعل الحاكم نفسه من ضمن الضعفاء و المحرومين من أفراد المجتمع، مثل حكومة أمير المؤمنين علي عليه‌السلام، بحيث علمنا كيف كان مأكله و مشربه و ملبسه، و كيف كان يتعامل مع الأمّة الإسلاميّة، في ذلك الوقت العصيب الذي لايوجد فيه قوت يطعمونه و لا لباس يلبسونه كما يستحقونه. هذا هو الفرق الذي افترق فيه حكام آل أبي العاص. أحد فروع بني أمية و الذين حكموا لسنوات عديدة، و حذّر النّبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الأمّة منهم و من حكومتهم. أين هذا الحكم والحكومة التي كان يرنو و يطمح إليها الإمام الحسين بن علي عليه‌السلام.

النقطة الثانية «و عباد الله خولاً»، الصفة الثانية التي يتصف بها الطغاة، هو انهم يعتبرون عباد الله «خولاً» أي عبيداً، لربّما لايقولون بألسنتهم بأنّ الناس عبيد لنا، ولكن في واقع الأمر يعتبرون النّاس عبيداً لهم. و هذا ما حدث في حكومات بني اميّة و بني العبّاس في القرون الأولى من الإسلام، و الذي كان

يتزايد يوماً بعد يوم. لقد بدأ منذ معاوية و استمر في زمن يزيد، و بلغ ذروته في زمن مروان و عبدالملک و إستمرت الخلافة على هذا المنوال. بالطبع لم يقولوها منذ البداية، بعد مرور عدّة عقود من الزمن، في بداية القرن الثالث الهجري أو في أواخر القرن الثاني الهجري، ذكر أحد كتّاب العرب المعروفين -الجاحظ- في كتبه أنّ جميع النّاس كانوا عبيداً لأمير المؤمنين، عبيداً لذلک الخليفة الفاسق، الفاجر و الذي يطلقون عليه اسم أميرالمؤمنين. حاكم يتصور أنّه ربّ الأرباب و النّاس عبيد له.

هذا اللون من التفكير ظهر بعد الإنحراف الأوّليّ للإسلام و إعوجاج مسار الدولة الإسلاميّة. هذه ما تشير إليها عبارة«وعباداالله خولاً»، أنّهم كانوا يعتبرون عباداالله، عبيداً لهم، لا يقيمون أيَّ وزنٍ للنّاس، لايمنحونهم حقوقهم، و إذا ما أريدت البيعة، ليس لهم حقّ الإختيار و لا التّصويت،كانت الحياة تدار وفق اهواء الخليفة، أو الأقوياء و المتسلّطين على الناس، يجب أن يبايعوا لأنّهم مجبرون على ذلک، هكذا كانوا يعتبرون الجماهير.

النقطة الثالثة: و «دين الله دخلاً»، إنّ حكّام بني امية كانوا يتصرّفون في دين الله كيف ما كانت تقتضي أهواؤهم، و ملخّص معنى «...دخلاً»، هو أنّما يتصرفون في دين الله كيف يشاؤون. كانوا يتظاهرون بالعبادة حسب المقتضي، ليستقطبوا النّاس نحوهم، لكي يؤمن الناس بهم؛ كانوا يلهجون باسم الإسلام و القرآن، و يقيمون الصلاة جماعةً. نبذوا الشريعة الإسلامية في حياتهم الشخصية و الإجتماعية، في العمل أو في الحكم أو في

الحرب و السّلم وراء ظهورهم بسهولة. في الواقع ما كانوا ليريدوا أن يأخذوا بتعاليم الإسلام و إرشاداته، كانوا يتظاهرون به متى ما اقتضت منافعهم و مصالحهم الشخصية. وهذا ما نراه بوضوح في حياة خلفاء بني أمية و بني العبّاس. إذا امعنا التاريخ الأسود، للقرنين الأول و الثاني الهجريين في طيّات الكتب، عندها نعي مغزى عبارة «... دين الله دخلاً»، و هذا ما كان الذي أنبأ عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حكام يفعلون ما يريدون، يحرفون التاريخ، يزوّرون الأحاديث، يمنعون تفسير القرآن، وإذا تليت آية ما، يجب تفسيرها حسب ما يريدونها و يحتاجونها لتسديد مأربهم. كانت هناك جماعة باسم رجال الدين منافقون، يجلسون على موائد الخلفاء المتنوّعة، لقد نسوا دين الله سبحانه و تعالى، و عملوا بكلّ ما تهوى انفسهم.

هذه النقاط الثلاث التي أنبأنا عنها نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، وفقاً لما رواه أبوذر الغفاري – عندما يصل آل أبي العاص إلى ثلاثين نفراً، ...: «إتّخذوا مال الله دولاً» و «... عباد الله خولاً» و «... دين الله دخلاً» – و هذا ما حدث بالفعل في حكم آل أبي العاص في المشهد الحكومي إلى ثلاثين شخصاً، و حدثت كلّ هذه المشاكل للعالم الإسلامي وللحكم الإلهي و للإمام؛ لأن الحكومة في الإسلام إمامة إلهيّة حيث يقول القرآن الكريم: «... وجعلناهم ائمة يهدون بأَمرنا»[1] أى يهدون النّاس بأمر من عندنا، يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر،

١. سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

هـذا معنـى الإمامـة و مضمونهـا؛ تحوّلـت هـذه الامامـة إلـى سـلطة متغطرسـة، نـرى ملـوكا يفعلـون مـا يشـاءون، ويحكمـون النـاس وفـق اهواءهـم ومصالحـم؛ حكـم تـرى فيـه شـقاء الإنسـان و عنـاءه. وقـد اقتـدى ملـوك اليـوم بالماضيـن، بملـوك إيـران و إمبراطوريّـة الـروم، يتعلّمون منهـم و يفعلون مثلما كان يفعلون...، لقد أصبح الوضـع علـى هـذا الحـال.

حسـناً، مـا هـو العمـل الـذي يمكـن فعلـه حيـال هـذا الوضـع؟ كان هـذا سـؤالاً كبيـراً أمـام التاريـخ؛ كان هـذا حكمـاً إلهيّـاً غيـر معـروف للعالـم الإسـلامي فـي ذلـك الوقـت و لجميـع الأجيـال الإسـلامية، فعندمـا يحـدث مثـل هـذا الوضـع للمجتمـع الإسـلامي، مـا الـذي علينـا ان نفعلـه؟ مـا هـو واجبنـا؟

فـي ذلـك الوقـت الـذي كان أميرالمؤمنيـن علـي عليه السلام يقـود المجتمـع الإسـلامي، كانـت مهمّتـه أن لايسـمح بحـدوث مثـل هـذا الاوضـاع، لهـذا وقـف بوجـه هـذا الانحـراف و حاربـه، وفـي الوقـت الـذي كان فيـه علـيٌّ عليه السلام علـى قيـد الحيـاة، لـم يتظاهـر أحـدٌ بالفسـق و الفجـور، و كانـت الأمّـة متمسّـكة[1] بالقـرآن الكريـم. و بعـد إستشـهاد أميرالمؤمنيـن عليه السلام، حـاول الإمـام الحسـن عليه السلام ان يسـتمرّ علـى الطريـق الـذي انتهجـه ابـوه أميرالمؤمنيـن علـي عليه السلام و سـلكه، وأخيـرا وبعـد تلـك المؤامـرات، توصـل إلـى نتيجـة و هـي أنّـه لايمكنـه أن يكـون مثـل ابيـه علـي بـن أبيطالـب عليه السلام، كان لـدى علـي عليه السلام قـوّات كثيـرة جاهـزة و مهيّئـة للحـرب و القتـال. لـم تكـن تلـك القـوّات فـي

١. سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

حوزة الإمام الحسن عليه السلام و إختياره، ولم تكن لهم قوّة لخوض غمار الحرب، بعد تلك السنوات الخمس المتأزّمة، ولم تكن له تلك الظروف التي كانت على عهد والده كي يتمكن ان يجمع الأمة حوله، و نظراً للنفوذ الذي حصل عليه معاوية بشكل كبير في زمن الإمام الحسن عليه السلام، فلم تعد تلك الأجواء بصالح الإمام المجتبى عليه السلام، لهذا أجبر الإمام الحسن عليه السلام على أن يغيّر اسلوبه، الهدف و المسار كان واحداً، ولكن التكتيك كان يختلف، و قد قمت بالدراسة و البحث حول حياة الإمام الحسن و صلحه من قبل، إذا سنحت لي الفرصة و مجال البحث، سأبيّن كيف كان تدبير الإمام الحسن عليه السلام، أفضل اسلوب و أدقّ عمل قام به الإمام في زمانه، في ذلك الوقت الذي لم يكن فيه الناس على وعي، كما لم تتّضح لهم حقيقة السلطة الإستبدادية و المتغطرسة بشكل كامل، و جهلهم بالمصائب التي كانت تنتظرهم، في مثل هذه الظروف، قام الإمام المجتبى عليه السلام برد فعلٍ، كان أفضل عملٍ يمكن القيام به، وهو الصلح مع معاوية، و الذي كان بمعنى الهدنة بين الطرفين. كان الصلح حركة تكتيكية، كما كان الخواص في ذلك الوقت يعلمون، أنّ الإمام الحسن عليه السلام بصدد إتاحة الفرصة، كي يهيّأ الأرضية و بشكل مناسب، لفضيحة الحكم الظالم، و لقد سعى الإمام و إجتهد لطيلة عشر سنوات، ليوفّر المجال لتحقيق هذا الأمر، الى ان إستشهد بواسطة السّم.

بعد ذلك وصل دور الإمام الحسين عليه السلام. لقد إستمرّ الإمام الحسين عليه السلام على نهج أخيه الإمام الحسن عليه السلام، بحيث إستمر

عمله لعشر سنوات أيضاً، قام فيها بتنوير عقول الناس و خطب فيهم، كما أوصى أصحابه المقرّبين بوحدة صفوف الشيعة، و بيّن للعلماء و الفقهاء الذين كان بإمكانهم أن يلعبوا دوراً مهمّاً آنذاك، وظائفهم و مهامّهم تجاه المجتمع، ولكن ماذا يفعل و معاوية مسيطرٌ و مهيمنٌ على الأوضاع بشدّة، لا أمل للحسين عليه السلام بالعمل، مادام معاوية حيّاً، واخيراً مات معاوية في عام ٦٠ للهجرة و تهيّأت الأرضية اللازمة، أي كان الناس جاهزين، و الأذهان مستعدة إلى حدٍّ كبير في هذا ألامر.

من جهة أخرى، كان هناك فرق شاسع بين شخصية يزيد و شخصية معاوية و لا يقاسان بأي شكل من الأشكال.

لقد أدرک معاوية عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على أقلّ تقدير، و يرى الناس فيه ظواهراً من الإسلام؛ قرابته من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، جعلته موضع إهتمام البعض، علاوة على ذلک، لم يتظاهر بالفسق، كانت شخصيته مقبولة؛ ذهب هو و أخوه و قاما بفتح بلاد الشّام، و بقيا هناک و جعلا من الشام قاعدة لدولتهم؛ وابنه يزيد لم يتمتّع بهذه الظواهر. ليس ليزيد تاريخ، ولاوجود و لامكانة في عالم الإسلام والمسلمين. علاوة على ذلک، كان رجلاً سكيراً مدمناً فاسقاً، متجاهراً بالفسق، و دونه حسين بن علي عليه السلام شخصية نبيلة، معروف لدى جميع المسلمين، انه ابن بنت النبي، معلناً: لايمكنني أن أبايع شخصاً مثل يزيد، لأنّه رجل غير صالح، و أصبحت هذه الكلمة مبدأً لحركته، و قد سار الإمام الحسين عليه السلام، طالباً للحق، واقفاً أمام الظلم والظالم،

آمراً بالمعروف وناهٍ عن المنكر، ليُعيد الشريعة الإسلامية الحقة و يحوّل الملوكية إلى الإمامة الإلهية و الإسلامية مرّة أخرى، و قد سنحت له هذه الأرضية آنذاك. هنا يتّضح و يتبيّن دور الإمام الحسين بن علي عليه السلام .

يجب أن أصرّح، في تلك البرهة التاريخية والظروف التي كان الإمام الحسين عليه السلام فيها، إذا كان أيّ من الأئمة الأطهار عليهم السلام مكان الإمام الحسين، لاشك انه كان يقوم بما قام الحسين عليه السلام به، ان كان ذلك في زمن حياة الإمام الحسن عليه السلام ، أو في زمن الإمام السجاد عليه السلام ، أو في زمن الإمام الصادق عليه السلام أو الإمام علي النقي عليه السلام أو الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، في زمن أيّ من الإئمة الأطهار عليهم السلام ، فكان نفس رد الفعل، وكان ذلك الإمام هو الشهيد الأكبر و سيد شهداء الإسلام، لقد حدثت هذه الظروف في زمن الإمام الحسين عليه السلام ، فاصبح هو سيد الشهداء كما أنبأ الله سبحانه و تعالى نبيّه بهذا الأمر من قبل، و اشار اليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً.

جيّد، ماذا كانت هذه المهمّة التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كانت واضحة في علم الله عزّ و جلّ، كما كانت جزءاً من النظام الإسلامي يجب العمل بها عندما يتغيّر المسار الصحيح للنظام الإسلامي، ماذا كان ذلك؟ ما هي المهمّة التي حدّدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و عَمِلَ بها الإمام الحسين؟

في مَعرض تبيان هذه المهمّة و النظر بشكل شامل للعمل الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام ، تم طرح وجهات نظر و آراء مختلفة، اكثر فيها البعض، تحدّث عنها الأسلاف، و تكلّم عنها

المعاصرون. و في السنوات الأخيرة هناك منظرًا نفى دواعي واسباب خروج الحسين بن علي عليه السلام، و في رأيي أن كليهما ليسا على صواب، و الموضوع شيء آخر. جاء البعض ليقول أنّ الحسين عليه السلام ثار ليتسنّم مقاعد السلطة فقط، لأنّه يرى أنّ يزيد رجلٌ فاسد و غير صالح، و قد عرّضَ المجتمع الإسلامي إلى خطر جدّي. لهذا ثار الإمام ليمسك بزمام الحكم، و قد هيّأ العِدّة و العُدّة لذلك. وما الى ذلك -اتجه نحو الكوفة ليخرج من هناك و يحرّر الكوفة- وفق اصطلاحنا المعاصر جمع قوّاته هناك كي يهاجم السلطة المركزيّة-، ولكن عندما أحسّ عدم تحقّق هذا الأمر، واُخبر، و هو في الطّريق، أنّ أهل الكوفة تراجعوا و نكصوا على أعقابهم، قال: اتركوني لكي أذهب إلى المكان الذي كنت فيه من قبل و أبقى هناك. هذه وجهة نظر، بالطبع يستدلون بشواهد و قرائن، ولكن لم يعد هذا رأياً صحيحاً و صائباً.

و قال آخرون: أنّ الحسين بن علي عليه السلام أساساً لم يكن ينوي السلطة أبداً، كما لم يطمح في أن يتسنّم مقاماً حكوميّاً، و يترأس على المسلمين، بل أراد أن يُقتل، أساساً ثار لكي يُقتل، لأنّه رأى أنّه لا يمكنه القيام بمهمّته الإلهية إذا ما بقي على قيد الحياة، و فكّر أن يؤدّي تلك المهمّة من خلال قتله في هذا الطريق. و هذا هو الرأى الآخر، مغزاه أنّ الإمام الحسين بن علي عليه السلام عندما إنطلق من المدينة المنوّرة، كانت نيّته أن يذهب الى العراق و يقتل هناك. أساساً لا نيّة له غير ذلك، ومجيئه إلى مكّة المكرّمة كان لاجل ذلك، قام بتخطيط هذه الفكرة، أنّه ما هو

افضل مكان لاستشهاده؟ هذه كانت أحد الآراء المتداولة، ولكن هذا النظر غير صحيح كذلك.

في الحقيقة و واقع الأمر أنّ الحسين بن علي، لم يذهب لا للحصول على الحكم و لا أن يقتل هناك. سأقولها باختصار هنا. و تذكّروها جيّداً، بعد ذلك سأقوم بشرحها بشكل مستفيض. أنّ القتل و الحكم، لم يكونا من أهداف الإمام الحسين عليه السلام و طموحاته، بل كانتا نتائج حركة الإمام نفسها. أي واحدة من هاتين الإثنتين، كانتا النتيجة النهائية لحركة الإمام الحسين بالتحديد، امّا سدّة الحكم، أو أنّه سيُقتل. هذا ما كان يعلمه الإمام نفسه. ولكن تلك الحركة التي بدأ بها الإمام الحسين كانت ستؤدّي إلى إحدى هذه النتائج وبشكل طبيعي. هذه النتائج إمّا ستكون الوصول إلى الحكم أو القتل خلالها، ولكن ليس القتل ولا الحكم، كلاهما لم يعدا من أهداف الإمام الحسين عليه السلام. فماذا كان هدف الحسين عليه السلام؟ هدف الإمام كان خلق حركة ونهضة، وإيجاد روح المقاومة و الإعلان عنها أيضاً. إذا ما تكلّلت هذه الحركة و المقاومة بالفوز والنجاح فذلك نور على نور، قام الحسين عليه السلام بحركة و ثورة، فاذا امسك بزمام أمور الدولة، سيجعل الدنيا مزدهرة و يجعلها جنّة على الأرض و سيستمرّ على نهج الدولة الإسلامية و نهج ابيه و المنهاج النّبوي الشريف، ولكنّه إذا ما وصل لسدّة الحكم و كانت نهايته القتل و الشهادة، سيستقبلها الحسين بن علي عليه السلام بصدر رحب لأنّه قام بإنجاز الغاية المنشودة من خلال حركته هذه.

لهذا، الرؤية الثالثة التي بيّنتها، بحيث لا القتل و لا الوصول إلى الحكم لم يكونا من ضمن أهداف الإمام الحسين عليه السلام، كان هدفه القيام بهذه الحركة، لأنّ نفس هذه الحركة كانت درساً للمسلمين آنذاك، و لكافة من يأتون على وجه هذه المعمورة من بعده. لقد ملأت هذه الحركة فراغاً من النظام الإسلامي، هذا ما قام بتعليمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال: عندما تشاهدون أنّ الدنيا تؤول إلى الخراب و الدّمار و يذهب النظام الإسلامي نحو الفساد، عليكم أن تتحرّكوا و أن تثوروا، هذا ما قاله الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. ولكن في طبيعة الحال لايمكن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوم بنفسه بهذا العمل، بهذه الفريضة الإلهيّة، لأنّه لم يحدث ذلك على عهد ذلك الرجل العظيم، أي لم يطرأ أيّ إنحراف يتوجب القيام بهذا العمل. قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم الصلاة و إيتاء الزّكاة و الحجّ و الجهاد كما قام هو بتأديتها أيضاً ولكن هذا عملٌ لابدّ أن يقوم به أحد أوصيائه، فقام الائمة بتعليمها للناس، و علّمها الإمام الحسين أيضاً.

لهذا نقولها نحن و بشكل مختصر، كان هدف الإمام الحسين عليه السلام أن تتمّ هذه الحركة كي تعي إنسانية التاريخ ويستيقظ المسلمون بفضل هذه الحركة المباركة ليستوعبوا مهمّتهم تجاه مثل هذه الأوضاع و يتعلموا كيف يتحرّكون عندما تحكم دولة الظلم و الإستبداد و الكفر، عندما يؤول النظام الإسلامي نحو الفساد و الإنحراف، وعند خروج هذا القطار عن سكّته، ما هي المهمّة؟

كان هدف الإمام الحسين عليه السلام هو القيام بمهمّة إلهيّة في أصعب الظروف و أحلک الأوضاع، العمل بواجبه، و تعليم النّاس و إرسال رسالته للتاريخ، و تعليمها لكافّة الأجيال والأمم، و هو عندما تحدث اليكم عن مثل هذه الأوضاع، يجب أن يكون العمل و الحركة بهذا الشكل، أراد أن يعلّمنا هذا الأمر. أراد أن يعلّم التاريخَ الحركةَ و النّهضة و الكفاح في الظّروف الصّعبة، و أساساً أنّ سرّ خلود الحسين بن علي عليه السلام في التّاريخ يكمن في هذه المبادئ و القيم الإنسانية الإلهية.

بالطبع مثل هذه الحركة، سيكون لها نتيجتان: الأولى هي القتل و الأخرى هي الإنتصار، لا ثالث لهما. عندما يتحرّک الإنسان و يحارب بتلک القوّة المستقرّة و بذلک الصمود، أمّا سينتصر و يقوم بتأسيس الدولة كما حدث في بعض الحالات. مثلاً حركة العلويين إبّان الخلافة العبّاسية، لقد أثمرت و قاموا بتأسيس الدولة. البعض منهم حكم لسنوات مديدة، اما النصر و اما الشهادة، لايختلفان، المهم ليست النتيجة، بل العمل نفسه، القيام بالواجب، يجب القيام بالحركة و هذه هي الرسالة التي إستوعبها شعبنا.

عندما أقول أن الثّورة جعلتنا نستوعب عاشوراء أكثر فاكثر و انها هي التي اعطتنا نظرة جديدة للوقعة الحسينية، هذا ما كنّا لانعرفه، كنا لانشعر بذلک، ولكن ابان الثّورة ادرک الشعب مفهوم تلک الحركة و فهمها جيّداً؛ لقد ادركوا ما هي مهمّتنا في مثل هذه الأوضاع التي تعصف بنا، و تلک الدولة المتغطرسة. المهمّة

كانت حركة الناس فقام الشعب وثار. تلك النتيجة التي تحققت بفضل الله سبحانه و تعالى، أصبحت «إحدى الحسنيين»[1].

امّا لو كان الحسين عليه السلام ينتصر لكان التاريخ يتغيّر، أقل الايمان كان الظلم يتوقّف لفترات مديدة في العالم. كان العالم يشهد بسط عدل الإسلام في كافّة أنحاء ولكن و للأسف الشديد لم يحدث هذا و استشهد الإمام الحسين عليه السلام.

وفقاً للروايات، عندما إستشهد الحسين بن علي عليه السلام، «إشتدّ غضب الله على أهل الأرض»[2]، لقد كان غضب الله شديداً، إحدى تلك البحوث الغريبة جدّاً و الجديرة بالإستماع في باب حياة الأئمة الأطهار عليهم السلام هو هذا البحث، ما جرى في عامي ٧٠ و ١٤٠ للهجرة كانوا يترصدون ويتوقعون نهضةَ الحقّ ضدّ الباطل و تأسيس الإمامة الإسلامية.

كان الإمام يريد أن يعلمها للناس، كانت رسالة الإمام الحسين عليه السلام واضحة للغاية. انّ حركة الإمام الحسين عليه السلام و نهضته اصبحت نموذجاً لجميع الحركات التحرريّة في العالم، يضرب بها المثل الأعلى، حركة خالدة ابقاها لنا التاريخ إلى يومنا هذا.

لقد تكلّم الإمام الحسين عليه السلام في مسيرته مع الجميع، مع أصدقائه و أعدائه، مع المتقاعسين و المتشددين، مع الرفاق و المتخلفين، و شرح مطالبه. اقدم اليكم بعض النصوص من

---

١. سورة التوبة، الآية ٥٢.

٢. الإمام الصادق عليه السلام، الكافي، كتاب الحجّة، باب كراهية التوقيت، ح ١.

كلمات الإمام الحسين عليه السلام، هذه الكلمات تفسّر واقعة عاشوراء.

قام معاوية عند وفاته بتعيين يزيد لخلافته، وكان طبيعياً ان يعترض الإمام الحسين بن علي عليه السلام على هذا الأمر. عندما طلب وليد بن عتبة من الإمام الحسين عليه السلام ان يحضر في دار الإمارة، قال الإمام في المسجد للشخصيّات المعروفة آنذاك: من المحتمل و نظراً لعدم وجود أي خبر آخر، أنّ معاوية قد مات، و دُعينا لمبايعتهم. لهذا لمّا ذهب الإمام الى دار الإمارة كان على أتمّ إستعداد. طلب وليد الإمامَ ليأخذ منه البيعة. كان وليد بن عتبة حاكم الحجاز آنذاك و يسكن في المدينة حينها، كما كان مروان الحكم موجوداً هناك أيضاً؛ طلبوا من الإمام أن يبايعهم. أراد الإمام أن يؤخّر هذه القضية فقال: لتكون ليوم غد، سندبّر ما يجب فعله و إذا كان المقرر أن نبايع بالأحرى أن تكون أمام الجمع، قال ذلك وعزم على الخروج من هناك، فأشار مروان الحكم الى وليد، أتسمح له بالخروج من هنا؟ إذا ما ذهب الحسين الان، لن تصل يدك إليه، و من الأفضل أن تضغط عليه الان ليبايعك؛ فردّ عليه الإمام بلحن شديد و قال له: من يريد أن ينتزع البيعة مني بالقوّة؟ أنت أو الوليد؟ هل تستطيعا فعل ذلك؟ والله ليس لكم القدرة على ذلك، و اعلموا «و مثلي لايبايع مثله»[1]، هل من الممكن أن أبايعكم؟ لكن سنصبر حتّى الصباح «نصبح و تصبحون و ننظر و تنظرون».

١. بحار الأنوار، تتمة كتاب تاريخ فاطمة و الحسن و الحسين، باب ٣٧، ح ٢.

فلم يسمح الإمام أن تفوته هذه الفرصة الإستثنائية، كان يريد الخروج بسلام هو و من معه من أصحابه حتى يذهب إلى مكة، و يكون مستعداً لتلك الحركة العظيمة. لهذا خرج الإمام في تلك الليلة ذاتها.

في خطابه لمروان في هذا المجلس عندما تكلّم مروان بتلك العبارات، أو لربّما كان بعد خروجه من هذا المجلس، لا أتذكّرها بشكل جيّد، على أيّة حال، في خطابه لمروان هذا، تم الحديث عن يزيد أيضاً. قال مروان: يا حسين بن علي، أرى من المصلحة في أن تبايع يزيد. لا تسبب مشاكل لنفسك ولأصحابك، و دع هذا العمل يتمّ بسلام.

قال عليه السلام: «إنّا لله و إنّا إليه راجعون و على الإسلام السّلام إذ قد بُليت الأمّة براعٍ مثل يزيد»[1]، هذا هو الإنحراف بعينه، هذه هي الحالة التي أشرنا اليها، و التي بالإمكان أن تحدث في اي نظام ما، أي «إنّا لله و إنّا إليه راجعون»، هذه الحالة هي أوج الدهشة التي يمرّ بها الإنسان. مفردة الإسترجاع تظهر حالة الخوف و الذعر، أي إلى أيٍّ مدى يمكنه أن يكون مدهشاً و قلقاً في تلك الظروف التي ابتليت الأمّة الإسلامية بقيادةٍ كقيادة يزيد. «إنّا لله و إنّا إليه راجعون و على الإسلام السّلام إذ قد بُليت الأمّة براعٍ مثل يزيد»، أي عندما تبتلى القطيع بذئب بدل الرّاعي، و«على الإسلام السّلام». لم يبق للإسلام مجال بعد هذا، أن هدف الإمام الحسين بن علي عليه السلام كان هو إحياء الإسلام.

---

١. نفس المصدر.

لايوجد للحسين بن علي عليه السلام أي خصومة شخصية مع يزيد، أي ليس مهمّاً للحسين أن يكون يزيد أو غير يزيد من المنظار البشري، بالطبع كان يزيد في وجهة نظر الحسين عليه السلام فاسداً و فاسقاً، ولكن عندما يكون من المقرر أن يصبح هذا اليزيد الفاسق و الفاسد خليفة النبّي صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين، هنا يُقرع ناقوس الخطر، من هنا شَعَرَ الإمام الحسين عليه السلام بأنّ هذه بداية الإنحراف، لربّما لم يكن بداية الإنحراف، هذه ذروة ذلك الإنحراف الذي أشار إليه النبّي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل، كما أنّ هنالك رواية أخرى عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يرويها الإمام الحسين عليه السلام ما مضمونه: و هنا بدأ الأمر الذي لايطاق، لقد نفد صبرنا، اليوم هو اليوم الذي لايمكن أن نتحمّل هذا الوضع و يجب الحركة.

لم يستطع حاكم المدينة في ذلك اليوم أن ينتزع البيعة من الإمام و قال:حسناً إذهب الليلة و تعال غداً أو بعد غد. خرج الإمام عليه السلام من دار الامارة و خرج من المدينة ليلاً، و ذهب إلى مكّة مباشرة، ترك لأخيه محمد بن الحنفية وصيته، هذه مقدّمتها «هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد، المعروف بابن الحنفية»[1]، يشهد بوحدانيّة الله سبحانه و تعالى، كما في وصايانا العادية و التي نشهد بها بوحدانية الباري عزّ و جلّ و بنبوّة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حتى لايتمكّنوا من كيل التّهم و الإفتراءات التي يكيلها المفترون في ذلك الوقت. بعد ذلك قال: «و أنّي لم أخرج اشراً ولابطراً و لامفسداً» يصرح

١. بحار الأنوار، تتمة كتاب تاريخ فاطمة و الحسن و الحسين، باب ٣٧.

الإمام، أنّه لم يخـرج من المدينـة بطراً ولاتوجد قضيّة شخصية معه و ليس من باب الأحاسيس و المشاعر. خروجه من المدينة ليس ظلماً و لا فساداً، يعلن انّ خروجه لم يكن مثلما نراه اليوم في معظم الحكومات، و في طيلة التاريخ، تأتي مجموعة و تنازع سلطانها دون أي منطق و إستدلال و دون أي دليل واضح[1]، فجأة ينتفضون و يقتلون و يعيثون فساداً و دماراً في البلاد كما نشاهدها اليوم في وقتنا الراهن، ويزعمون ان ذات الشوكة تكون لهم، هؤلاء ليس لهم أية مبادئ أساسية للسلطة، يطرحون قضايا بزعمهم أنّها على صواب و ينزلون للشوارع و يضعون المفخخات والمتفجّرات فيها، كما يقتلون عدداً من الأبرياء من خلال هذا العمل الإجرامي، هذا يعدّ ظلماً، يتسللون في المدن و القرى ليعيثوا فساداً فيها، هذا يعدّ فساداً بالذات.

يقول الإمام عليه السلام، يجب أن لايفهم عملي بشكل خاطئ كهذه الأعمال التي يقوم بها البعض عندما خرجت من المدينة، خروجي ليست قضية شخصية أو إحاسيس و مشاعر فرديّة و لم اخرج ظلماً و فساداً.

لم ينطلق الإمام بعد من مكّة، كان هذا عندما خرج من المدينة ولكن القضية قضية نهضة و خروج، كانت المبادرة بعمل ما، ليس الموضوع اللجوء إلى حرم الله سبحانه و تعالى و كلمة «أخرج» بمعنى الخروج من المكان، لاتتناسق مع المقام، يقول: «لم أخرج أشراً و لابطراً»، نهضتنا و حركتنا و خروجنا هذا، ليس

١. فيه اشارة إلى اجواء الإغتيالات المنظّمة عام ١٣٦٠ هـ ش.

من باب الغطرسة و التكبّر و طلب السلطة و ماشابه ذلک من الأعمال التي يقوم بها الفاسدون و الظالمون في العالم، لم نأتِ حتى نظلم و لانريد أن نفسد في الأرض، لدينا غاية أخرى و هدف آخر.

فلماذا خرج الإمام؟ قال «إنّما خرجتُ لطلبِ الإصلاح في أمّة جدّي»، أي خرجت لاقف بوجه الفساد الذي ظهر في أمّة جدّي، وهذا ما قلنا عنه من قبل و الذي تنبّأ به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، حكمه يظهر ذلک بوضوح، أي الفساد بعينه. هذا الإنحراف الذي توغّل في المجتمع آنذاک، أريد أن أقضي على هذا الإنحراف.

«أريدُ أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر»، أي: حقيقة هذه الحركة و روحها، هو الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر. أريد أن أنهى عن السيّئات التي ظهرت في المجتمع، و أبيّن و أشرح الحسنات الموجودة في الإسلام، و آمر النّاس و أنهاهم عن المنكر. «و أسير بسيرة جدّي و أبي عليّ ابن أبي طالبٍ»، يعني: السير على نهج النبي وطريق علي بن أبي طالب، تلک هي الإمامة الإسلامية و إحياء حاكمية الله عزّ و جلّ بين النّاس من جديد، أساساً كان الهدف هذا.

كانت هذه حقيقة حركة الإمام الحسين بن علي عليه السلام عندما خرج سيد الشهداء من المدينة و أتي إلى مكّة، قام بإرسال رسائل إلى أهالي الكوفة. حسناً، على هذا إذا كان من المقرر أن تقام حركة ما، هذه الحركة و النهضة ليست بمعنى أن يذهب

الإنسان بنفسه حتّى يُقتل، أي يقوم بحركة لايكون لها أي تأثير أو صدى أو فائدة على المجتمعات؛ هذه الحركة بدأها الحسين بن علي، تزلزلت بها أركان الدولة الأموية وحكم يزيد، بالرغم من أنّها إنتهت بقتل ذلك الإمام الهمام، اندلعت حركةٌ و تكبّد ذلك النظام الفاسد الظّالم الباغي خسائر و هزائم، كان الإمام يريد ذلك بالذّات؛ وكان هذا العمل يتطلّب إعداد العُدّة و العدّة، و لايتوقّف على جمع الأفراد و الإمكانيّات اللّازمة فحسب، لهذا بدأ بإرسال الرسائل. من جهه أخرى، الشيعة المتجمعة بالكوفة، مركز الشيعة و أصحاب أميرالمؤمنين علي عليه السلام، هؤلاء الذين كانوا يعرفون ذلك الإمام من قريب، في الحروب كانوا بمعيّته، مثل حبيب بن مظاهر و أمثاله، و شخصيات معروفة ومرموقة في المجتمع الإسلامي، كان هؤلاء من مشاهير الصحابة ولهم شعبيّة في الكوفة و النّاس يحذون حذوهم و يحبّونهم أيضاً، و هؤلاء هم مَن كتب الرسائل و قالوا للإمام تعال إلى الكوفة و نحن جاهزون معك، نقوم بدعمك و حمايتك و سنثور على الدّولة الأمويّة.

بالطبع كان لحن الرسائل يختلف من واحدة إلى أخرى، بعض الرسائل تخاطب الإمام: أنّ عدوّك هالك، و توجد هنا إمكانات كثيرة لتعيد الدّولة إلى نهجها الإسلامي، تعال الينا؛ وجاءت في بعض الرسائل: أنّ أنهر الكوفة جارية و أشجار الفواكه دالية، وأنّ الأجواء هنا جميلة و خلّابة و... .

هذه العبارات تبين كميّة الفكر و ميزان الشعور و عقلية كاتب تلك الرسالة؛ البعض كان هكذا يكتب الرسالة وفقاً لأفكاره، و البعض كان نمط تفكيره ساذجاً و بدائيّاً، بحيث يدعون الإمام إلى تناول الفاكهة، لاسيّما بقولهم: انّ نبات الفراولة قد نضجت محاصيلها، تعال لتأكل منها، تعال لتتمتّع بالأجواء الجميلة الموجودة هنا؛ كانت في مثل هذه الرسائل كميةٍ ليست بقليلة، وهناك انواع اخرى؛ يقال أنّ عددها تقدّر بآلاف الرسائل، عشرين ألف رسالة الى سبعين الف، كل هذه الأرقام تتناقل وان كانت فيها مبالغة، و من المحتمل أن تكون الرسائل أقلّ من ذلك. على أيّة حال، وصلت رسائل كثيرة إلى الإمام، و ذلك عند تواجده في مكّه المكرّمة، و اخيراً اتجه الإمام نحو الكوفة.

حسناً، جميع الشخصيات الموجودة في مكّة و المدينة الذين يحظون بشهرة و سمعة بين الناس و الذين كانوا لايعرفون حقيقة الأمر حذروا الإمام من هذا الأمر؛ لقد خالفه ابن عمه إبن عبّاس واخوه محمد ابن الحنفيّة و عبدالله بن جعفر زوج السيدة زينب عليها السلام و عدد آخر ليس بقليل. هناك كثير من الشخصيات الطيبة والجديرة بالإحترام، أو الكثيرون الذين كانوا يحاجّون الحسين بن علي عليه السلام ويحذروه من الذهاب الى كربلاء و ذلك لحبّهم له!

مثل أخيه محمد بن الحنفيّة و زوج أخته عبدالله بن جعفر، و ابن عمّه عبدالله بن عباس، و أخيه عمر بن علي، و آخرون كثيرون، مثل أمّ سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحتى الذين

ناقشوا الحسين عليه السلام، كلّهم كانوا يحبّونه أيضاً. هم أنفسهم كانوا مناوئين لمعاوية و يزيد، و قاموا بمواجهتهم، ولكن رفضوا أن يقوم الحسين بهذه الحركة. بحيث لم يلتحقوا به و لم يسمحوا للحسين القيام بذلك العمل. كان الحسين يختلف معهم في هذا الأمر. أنّهم اكتفوا بالقول فقط.

واذا قيل من أنّ في فترة امارة أمير المؤمنين علي عليه السلام، و وفقاً لما جاء في نهج البلاغة و بعض الكتب التاريخية، و التي تعتبر من الكتب المعتبرة، أنّ هنالك حدث إختلافاً بين أميرالمؤمنين علي عليه السلام و ابن عمّه ابن عباس، حسناً، ولكن مما لاشك فيه أنّ عبدالله بن عباس كان رجلاً وفيّاً و صادقاً لأميرالمؤمنين و آل النبّي صلى الله عليه وآله وسلم، و لا شكّ في ذلك. وفقاً لما قرأته في التاريخ و في سيرة حياة عبدالله بن عباس في الماضي أو في لواحقه، بعد واقعة عاشوراء، لا نشكّ في أنّ عبدالله ابن عباس كان رجلاً مخلصاً و صادقاً و وفيّاً لآل البيت، و مخالفاً لمخالفيهم و أعدائهم،كان لايحبّ معاوية و يزيد و الذين جاؤوا بعد يزيد قاومهم و قام بمعارضتهم.

على سبيل المثال عبدالله بن جعفر، وان لم يكن عنيداً مثل عبدالله بن عبّاس،كان صديقَ معاوية و موضع احترام عنده، و لهما مراودة بعضهم البعض، كان إبنه صديقاً ليزيد و تربطهم علاقة حميمة جدّاً، وان كان لايتمتع بشخصية علمية و دينية مثل عبدالله بن عباس، ولكن لاشك أنّه كان يحبّ الحسين و كان مخلصاً له و لايحب أن يتورط الحسين عليه السلام في هذه

المؤامرة.

أو أمّ سلمة (رضوان الله عليها) - زوجة النّبي الكريم ﷺ- كانت هي هكذا أيضاً. بالرغم من أنّها كانت إمرأة كبيرة في العمر، و هى زوجة رسول الله ﷺ كانت تحبّ الحسين عليه السلام حباً شديداً. جميع هؤلاء لم يوافقوا الإمام الحسين بن علي عليه السلام في ارادته و يسعى من أجلها.

البعض منهم كتب اليه رسائل و أراد من الإمام أن يعود من منتصف طريقه نحو كربلاء و الكوفة؛ والبعض لم ييأس من عودته. بعد ذهابه كتبوا الرسائل اليه، لماذا؟ لأنّهم كانوا يحبونه؛ حسناً، و لماذا تمّ القيام بهذا الشكل؟ إذا ما كان هذا العمل من أجل وصول الإمام إلى سدّة الحكم، ولم توجد الظروف المؤاتية للحصول عليها، كما لاتوجد الأشياء التي لابدّ أن تكون متوفّرة، اذا اراد القيام بأمر كهذا، إذا إفترضنا أنّ هذه الغاية مطلوبة بالذات في تلك الحركة، و تعليمها للنّاس و حثّهم عليها مطلوب في ذلك الوقت و فيما بعدها أيضاً ولكن هذه حركة فيها القتل والهلاك، و هؤلاء كانوا شخصيات غير مستعدين للقتال ولا يريدون أن يذوقوا طعم الشهادة بتلك الصورة كما أنّه لاتوجد فيهم تلك الشهامة اللازمة، لهذا قاموا بإرسال الرسائل و اخذوا يتذرّعون و ينصحون الإمام، ولكنّ الإمام و على الرغم من كافّة التوصيات و النصائح المزعومة بأنّها حكيمة و عقلانية، سار على نهجه و اخذ طريقه.

كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام، حركة أرادت أن تثبت للناس في العالم، لاسيّما المسلمين في ذلك الوقت و جميع المسلمين على طيلة التاريخ، أنّه إذا وصل وضع المجتمع الإسلامي و الدولة الإسلامية إلى هذا المستوى بحيث يصبح رئيس الدولة ملكاً، بدلاً من أن يكون إماماً لشعبه، فتكون مهمّة الأمّة، الحركة و النهضة، و مناوءة ذلك النظام بجميع الأدوات و الآليات المتاحة، لايمكن الإكتفاء باللسان فحسب، و إذا كان ذلك من خلال اللسان، لايجوز ان يكون باللغة المرنة، و يجب القيام بأشدّ آلية و أقوى وسيلة تمتلكها، حتى إذا اقتضى الأمر، من خلال السّيف.

و هذه حركة يجب أن يقام بها، حتّى إذا كان ثمنها الموت. كان هذا طريق الحسين بن علي عليه السلام و منهاجه؛ كانت حركة الإمام الحسين من أجل هذا، فهذه هي المهمّة التي ارادها الإمام منّا.

اليوم الثامن من ذى الحجة، اليوم الذي يجب أن يتواجد النّاس فيه في مكة، في ظاهر الأمر ليتجهوا نحو عرفات و يكونوا على استعداد لأداء فريضة الحج، قام الإمام بترك مكّة و إتّجه نحو الكوفة؛ بحيث أنّ القيام بتلك الحركة كان من ذلك اليوم، أي إختيار ذلك اليوم لهذا العمل، يدلّ على شيء، إنّما يدّل على إرادة الحسين بلفت أنظار الجميع بقيامه بذلك العمل العظيم. لقد كثر الحديث في كلّ بيت، لقد وقعت الواقعة، وقد رُوي حديث في هذا المجال عن الإمام عليه السلام، له تفاصيل كثيرة لا أريد نقله هنا.

خرج الإمام و أهل بيته وأصحابه من مكة متجهين نحو العراق إلى أن وصلوا إلى ذلك المكان الذي أوقف فيه الحرّ بن يزيد الرياحي، الإمام عليه السلام. أريد أن أنقل و أبيّن أهداف و غايات هذه الحركة و هذا العمل، التي جاءت في كلمات هذا الإمام الهمام و أساساً لماذا قام الإمام بهذا العمل، الحرّ بن يزيد الرياحي و كما هو معروف عندنا و سمعتم بذلك كان هو الحدّ و القوّة المانعة أمام حركة الإمام و تقدّمه نحو الكوفة، كان بن زياد يفكّر أن وصول الإمام الحسين إلى الكوفة، من المحتمل أن يحرّك مشاعر الناس و يهيّجهم ضدّه، أي إذا ما دخل الإمام و أصحابه الكوفةَ، يتذكرون ما مضى من قبل و ما جرى هناك. لأنّ هذه هي الكوفة، المكان الذي عاشوا فيها في رعاية خليفة المسلمين أمير المؤمنين في وقتها، يراه الناس هناك و يعرفونه جيّداً؛ لم يمرّ من ذلك الزمن وقت طويل، حوالي عشرين سنة مضت، و لاتعدّ العشرون سنة فترة طويلة. كانت ذكريات، يعرف الإمام واصحابه الكوفة و مناطقها و القبائل التي تقطن فيها و الزعماء التي تترأسها، و وصول الإمام إلى هناك يعدّ خطراً لحاكم الكوفة و محافظها. على هذا أرادوا منع دخول الإمام الكوفة نهائيّاً.

في الحقيقة أنّه ما كان يريد الإمام أن يعود من حيث أتى ثانية، لأنّهم يعلمون جيّداً إذا عاد مرّة أخرى نحو مكّة، من المحتمل ان يسبب لهم مشاكل أخرى. فماذا يفعلون بالحسين واصحابه؟ فاستغل الحكم الجائر الفرصة و رأى ابن زياد أنّ الإمام جاء بنفسه إلى هنا و وقع في فخّهم و أنّه في قبضتهم،

ومن الأفضل ان يقضوا عليه و على كافّة إمكاناته و قواه في هذا المكان، لهذا ارسلوا الحرّ بن يزيد الرياحي و معه ثلاثة الآف من الجند، لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام؛ وقف الحرّ أمام حركة الإمام و قال له: لن أسمح لک أن تذهب إلى الكوفة، أصرّ الإمام على ذلک و لكنّه إستنكر و أبى، فقال له الإمام سأرجع من حيث أتيت، ولكنّه لم يقبل بهذا المقترح أيضاً.

في المنزل الأول. و الذي كان منزل شراف .على مايبدو لقد التقى الإمام بحرّ بن يزيد هناک، قال الإمام كلمات هناک ذكّره بها، بأن هولاء الناس، أهالي الكوفة هم الذين دعوا الإمام الى العراق، وقد وفدوا الآن لمحاربته!!.

قال لهم الإمام: أنتم دعوتموني و أنا أعلنت عن إستعدادي للمجيء إلى هنا، حتّى أقوم بتأسيس الدولة الإلهية، الإسلامية و أحيي الإسلام ثانية، و أتآزر معكم، لماذا نكصتم على أعقابكم؟

وتكلّم الإمام في منزل آخر، في المكان الذي قام الإمام الحسين بن علي بإلقاء إحدى خطبه الجيّاشة و المعروفة في حضور أصحابه، وكان يستمع إليها أهالي الكوفة أيضاً. بعد الحمد و الثناء قال الإمام الحسين عليه السلام: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون»[1] و إنّ الدّنيا تغيّرت و تنكّرت و أدبر معروفها». يمكن القول أنّ هذا الكلام تفوّه به شخص لم يبق من عمره الكثير. «و لم يبق منها إلّا صبابةً كصبابة الإناء». كما قال بعد ذلک: «ألا ترون

١. بحار الأنوار، تتمة كتاب تاريخ فاطمة و الحسن و الحسين، باب ٣٧، هناک إختلاف في الرؤى حول مكان هذه الخطبة.

إلى الحقّ لايُعملُ به» «وان الباطل لايُتناهى عنه». هذه هي كانت وجهة نظر الإمام الحسين عليه السلام و عقيدته، و هذا يعنى أنّكم ترون أنّ المجتمع الإسلامي قد ابتعد عن ذلك الوضع الصحيح النشود، كما ترون أنّه الحقّ لايعمل به، و لكن الباطل أصبح معروفاً. حسناً، ماذا يمكن ان نفعله في هذه الحالة؟!!

عندما يرى الإنسان أنّه لايتم العمل بالحقّ، و ان الباطل يجول و يصول في المجتمع، عندما يرى الإنسان عالماً من الظّلم و الجور و الشّقاء أمامه، ماذا يجب عليه أن يعمل؟ «ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً». «فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادةً» و «الحياة مع الظّالمين إلّا بَرَماً». أي بعد ما انطلق الإمام قام بكتابة الرسائل إلى أهالي الكوفة، و أعلن عن مجيئه بواسطة مسلم بن عقيل[1]، فقال لهم استعدّوا حتى نخوض غمار الحرب. ولكن الآن يرى الإمام أنّ هناك مانعاً وقف أمامه و أمام حركته تجاه الكوفة، بحيث ستحدث تلك، نتيجة أخرى؛ ما هي النتيجة الأولى؟ الدّولة والحكم، و النتيجة الثانية هي الشّهادة، أي لامحاله ستحدث إحدى النتيجتين؛ هنا يشعر الإمام أنّ النتيجة الأولى و هي الدولة، لايتمّ تحقيقها تحت هذه الظروف ولامحالة لايبقى

١. بعد مطالعة الكتب التاريخية المعتبرة، يتبيّن أنّ الشخص الذي أرسل الرسالة إلى الكوفة هنا هو، «قيس بن مسهّر». وقبله كان قد أرسل مسلم رسائل لمبايعة أهل الكوفة و بعد ذلك أرسل رسالة للإمام أعلن فيها عن استعدادهم للبيعة و الحرب. عند ذلك أرسل الإمام رسالة بواسطة قيس اعلن عن إنطلاقه نحو الكوفة، وكان هذا في الوقت الذي إستشهد فيه مسلم بن عقيل في الكوفة، كما إستشهد قيس بعد دخوله على يد ابن زياد أيضاً. تلا الإمام الحسين عليه السلام الآية ٢٣ من سورة الأحزاب: «منهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدّلوا تبديلا» بعد تلقّيه نبأ إستشهاد قيس.

إلا الشهادة و لقاء الله سبحانه و تعالى؛ ومن هنا أعلن الإمام عن إستعدادهم لهذا الأمر؛ يقولون أنّ هذا وضع يتمنّى فيه المؤمن لقاء الله عزّ و جلّ. عندما يرى الإنسان هناك أمامه عالماً من الظّلم و الظّالمين و الطّغاة، يمسّكون بزمام الأمور و السلطة، على الإنسان أن يكون جاهزاً و مستعداً للمواجهة في مثل هذه الأوضاع، بحيث سيكون طعم الشهادة في مثل هذه الأوضاع لذيذاً.

هذه كانت إحدى خطابات الإمام عليه السلام، إحدى كلمات الإمام القيّمة، بعد ذلك إستمرّ الحرّ بن يزيد الرياحي بالضّغط على الإمام كي لايسمح له بالسّير نحو الكوفة، أو يرجع من حيث أتى، و بالنتيجة يختار الحسين عليه السلام طريقاً وسطاً و يذهب، كما يأتي الحرّ بن يزيد في جانب الإمام، أي لقد قالوا للحرّ- كالنمط التقليدي المعروف عنهم- المأمور معذور[1] و أمروه أنّ لايسمح ان يتحرّك الإمام من مكانه، ولكن لم يقولوا له إذا إختار الإمام طريقاً وسطاً، ماذا يفعل؛ لم يقولوا له بالتحديد و كان الحرّ لايدري ماذا يفعل إذا دار الأمر هكذا.

عزم حرّ على أن يتساهل مع الإمام في مذهبه، فبدا له ان يتركه أينما يذهب؛ لهذا سار جنباً إلى جانب الإمام، رافقه منزلاً إلى منزل حتّى وصلا كربلاء، و قبل أن يصلا إلى كربلاء، قام الإمام بإلقاء خطبة حادّة و قويّة، ذكر أموراً أشار فيها إلى ما أشرت اليه

١. واقعة الطّف، خروج الحسين عليه السلام من مكة، منازل الطريق، منزل البيضة.

في حكم الرسول الكريم ﷺ من قبل، والحكم الذي ألقى النبي مسؤولية القيام به على عواتقنا.

في المنزل الثاني أو الثالث، و الذي كان يسمّى البيضة، قام الإمام بإلقاء هذه الكلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم، أيّها النّاس أنّ رسولَ الله ﷺ قد قال في حياتهِ من رأى سلطاناً جائراً مستحِلّاً لحُرُمِ الله مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثمِ و العدوانِ ثمّ لم يغيّره بقولٍ و لا فعلٍ كان حقاً على الله أن يُدخلهُ مَدخَلَه». هؤلاء النّاس الذين خاطبهم الحسين بن علي عليه السلام و الذين إستمعوا لمنطقه القويم، لربّما ستترسّخ هذه المفاهيم و الكلمات في أذهانهم و منهم الحرّ بن يزيد الرياحي، هؤلاء الذين نادراً ما طرقت هذه الكلمات مسامعهم، و لايعلمون لماذا وفد الحسين إليهم و ذلك بالرغم من الإشاعات الكثيرة ضدّه حينها.

«يا أيّها النّاس»؛ يا من ترافقونني و تريدون أن تعرفوا ما هي حقيقة حركتنا؛ و يا أيّها الذين أصبحتم اليوم لنا أعداء تحاربوننا؛ و يا من سمعتم بنبأ نهضتنا و لايهمّكم الأمر و لاتدرون لماذا قام ابن رسول الله ﷺ بهذه النهضة؛ و يا من تريدون أن تعرفوا أحكام الإسلام و الشرائع السّماوية و لا تعلمون لماذا قمنا بهذه النهضة؛ إعلموا: «أيّها النّاس أنّ رسولَ الله ﷺ قد قال في حياتهِ من رأى سلطاناً جائراً مستحِلّاً لحُرُمِ الله مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثمِ و العدوانِ ثمّ لم يغيّر عليه بقولٍ و لا فعلٍ كان حقّاً على الله أن يُدخلهُ مَدخَلَه». هذا هو قول

النّبي ﷺ، يا أيّها النّاس! هذا الكلام ليس كلامي، كما لا اتكلّم عن نفسي و ذوقي الشخصي، هذا ما قاله النبي الكريم ﷺ، و أنا سأطبّق ما قاله جدّي ﷺ.

كل من يرى مثل هذا الوضع و لايعمل شيئاً، بلسانه أو بيده، (كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله)، أي سيحاسبه الله سبحانه و تعالى، كما يحاسب الظالم الجائر في يوم القيامة و يبتليه بعذاب أليم، و هذا بالفعل جزاء الذين لايبالون بما حولهم من جور و ظلم و تعذيب، لقد منحهم الله القوّة لكي يصرفوها في سبيل الله و رضاه، ولكنّهم لم يفعلو ذلک، لهذا فهم سواسية في الحكم يوم القيامة، في الحقيقة أنّ من يؤيّد أعمال أرباب الجور يكون مثلهم تجاه الخلق والخالق.

اليوم في البلدان الإسلامية التي تحكمها ملوک جائرة و ظالمة و مستحلّة لحرمات الله لم يوفوا بما عاهدوا الله عليه و عاهدوا أمريكا.

بلى، إذا لم يلتزم الإنسان بحدود الله وميثاقه و يتحالف مع الشيطان، سيكون وفيّاً لعهد الشيطان بدلاً من عهد الله. أنّ أمريكا اليوم هي الشيطان الأكبر في العالم. في تلک القضايا التي يتمّ التحالف فيها مع أمريكا و توضع جميع إمكانيات الشعب في حوزة الشيطان الأكبر، بدلاً من أن تكون في إختيارهم و خدمة مصالحهم، فهذا من عمل الشيطان؛ و هذا هو نموذج آخر ممّا أشرنا إليه سابقاً، هؤلاء الذين يعيشون في هذه البلدان و لا يبالون بالوضع المسيطر حولهم و المهيمن عليهم، في الحقيقة

ما هى ردود فعل هؤلاء تجاه هذه الأوضاع التي تمرّ بها بلدانهم؟ هذه الطاقات الإلهية، أخرجوها عن سيطرة الالاهيين، هل هو غير هذا؟ كما لو أنّكم، مثلاً تمتلكون مالاً كثيراً، و يموت بالقرب منكم إنسان جوعاً، و أنتم تبخلون عليه، هذا ذنب من؟ أنتم إحتكرتم نقودكم و أموالكم، والله امركم بإغاثة الناس و أن تصرفوا أموالكم في سبيله، ولكن لم تنفقوها؛ أو كان هناك شعب يحتاج إلى اموال وطعام و...، و المال و البضائع عندكم، تحتكرونها و لاتنفقونها على المستحقّين و الضعفاء من شعبكم، في الواقع أنّكم بهذا العمل إرتكبتم ذنباً، في الوقت الذي يكون فيه الإنسان لايبالي بهذا الفساد و الإنحراف الذي يحدث حوله في تلك البلدان، ما هي الحقيقة؟ وما هو الواجب؟ في الحقيقة هولاء الاشخاص قد قاموا بإحتكار الطاقات المعنوية و الروحية و لم يقدّموها في سبيل الله، هذا هو معنى قول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان حقيقاً على الله ... .

فبذل الحسين عليه السلام ما كان يمتلكه من طاقة و أموال في سبيل الله، وقف أمام الظلم و الفساد الذي كان يعصف بالمجتمع الإسلامي آنذاك، و بهذا أراد الإمام أن يعطي درساً للإنسان على مرّ التاريخ، بحيث إذا ما حدثت مثل هذه الأوضاع في المجتمع، يجب القيام بهذا العمل الذي قام به عليه السلام .

كنت أنا و في تلك الفترة الحالكة و المظلمة التي لايمكن أن نتكلم عنها بوضوح، و في ذلك الوقت الذي كان يحكم سلطان جائر في إيران، و الكثير من الناس الذين لايبالون بما يحدث

حواليهم، كنت أضرب مثلاً لهم، كما كنت أعبّر عن هذا المطلب في خضمّ المثل الذي كنت اتحدّث به، و هو مثل ذلک التاجر الذي كان يذهب إلى الهند للتجارة و المعاملة، و عندما كان ينوي السفر كان يسأل من جميع أهل البيت ما يبغونه من هدايا حتى الببغاء التي في البيت، وفي احد اسفاره خاطب الببغاء و قال: أريد السفر إلى موطنک -أي الهند- هل لديک رسالة أو توصية أو وصية أو هديّة آتي بها؟ اجابت: نعم لديّ وصية، و هي انه إذا وصلت الهند لى أقارب في الهند، فاذهب إلى هناک و خاطب الببغاوات وقل لها: أنّي منهم ومن فصيلتهم، أعيش هنا في بيتک و في هذا القفص وحيداً، ترجع بسلامات، ليست لديّ اية حاجة أخرى.!!

ذهب التاجر و إشترى بضاعته و تجارته و الهدايا التي كان يريد شراءها لأطفاله و زوجته و أقاربه و جيرانه و أصدقائه، و في نهاية المطاف ذهب الى المكان الذي قالت عنه الببغاء. فوجد هناک مكاناً مدهشاً و عجيباً، اسراب كثيرة من الببغاوات. كانت الآلاف من الببغاوات تغرّد على أغصان الأشجار، خاطب الببغاوات و قال لها: لدّي رسالة أريد ابلاغها، اجابت الببغاوات: و ما هذه الرسالة التي تريد قولها؟ الكل إلتزم الصمت و إستمع لما يريد التاجر قوله؛ قال: أنّ هناک ببغاء من فصيلتكم تعيش عندي في قفص في إيران، بمجرّد قوله هذا الكلام، سقطت جميع الببغاوات من الأشجار على الأرض و ماتت؛ فتأسّف التاجر كثيراً و قال في نفسه: يا إلهي لقد تسببت حزن و مقتل جميع هذه

الببغاوات بنبأ محزن واحد، الكل سقط من على الشجر و مات.

فعاد إلى مدينته حزيناً كئيباً، و قدّم جميع الهدايا التي جلبها من هناك؛ ذهب بعد ذلك الى الببغاء التي كانت في القفص، قال لها ما أعجب الرسالة التي وصيتني بها، قالت كيف؟ قال لها: لقد ذهبت لأبلّغ رسالتک لأقربائک و أصدقائک، فجأة طار الجميع من على الأشجار و سقطت على الأرض وماتت. عندما قال التاجر هذا، رفرفت البغاء، و هي في القفص و سقطت على القضبان و ماتت. خاطب التاجر نفسه و قال: ما هذه الرسالة المشؤومة، قتلت هذه و تلک البغاوات. ففتح باب القفص و رمى بالببغاء على سطح البيت، فجاة طار الطير و حلق عالياً في السماء؛ حطّ على الجدار و قال: أيّها التّاجر العزيز، أستميحک عذراً اذ حمّلتک طيلة السنتين الماضيتين بعض المتاعب لإطعامک لي، و الان اريد ان اهجر إلى جوار أقاربي، أنّهم لم يموتوا أنّهم أحياء مثلي، أنّهم و من خلال فعلهم علّموني كيف انجو و أنقذ نفسي من هذا القفص، علّموني كيف اتحرر، و ها انا اليوم حرّاً أحلّق في الجوّ.

في تلک الفترة المظلمة و المقيتة، كنت اضرب هذا المثل للأصدقاء و الأقرباء عندما القي الكلمات، ليعلمو أنّه أحياناً توجد حركات أو اعمال في التاريخ ستصبح درساً و عبرة لحياتنا، من الممكن أن يكون لذلک العمل تأثيراً كبيراً في تلک البرهة الزمنية، ولكن ما يتركه من تأثير في التاريخ أكبر و أعظم بكثير. كان عمل الإمام الحسين كهذه الأعمال العظيمة التي خلّدها

التاريخ؛ لقد ترک الإمام عليه السلام من خلال حركته و نهضته أمام ذلک الوضع الذي مرّ به المجتمع الإسلامي، تأثيراً باقياً على مرّ القرون؛ لقد تعالت أصوات الناس آنذاک، و إنكشفت حقيقة يزيد لكثير من الناس في ذلک الزمن، خاصةً أهالي الكوفة بالذات، كما عرف أهالي الشّام يزيد إلى حدّ ما، لقد أزيح الستار عن شخصية يزيد، كان العمل كبيراً، ولكن الأكبر من ذلک، التأثير الذي تركه عمل الحسين عليه السلام في ذلک الوقت، و التأثير الذي تركه للتاريخ أيضاً. لقد اتّضح لجميع المسلمين في العالم، أنّه إذا ما إنحرف المجتمع الإسلامي و الدولة الإسلامية عن طريقه الصحيح، العلاج هو ما فعله الإمام الحسين عليه السلام . في ذلک الوقت الذي غطّى الفساد العالم الإسلامي، العلاج يتمثّل بالحركة والنهضة التي قام بها الحسين بن علي عليه السلام .

و لقد لاحظتم أنّ إمامنا الراحل رحمه الله ، إستلهم هذا الدرس بشكل جيّد من الإمام الحسين عليه السلام . البعض لايمتلک قوة إستيعاب قويّة، ولكن الإمام كان يتمتّع بقوّة فهم و إستيعاب كبيرتين، لقد استلهم هذا الدرس من الحسين عليه السلام و نقله لنا؛ علّمنا إذا ما رأينا انتشار الظلم و الفساد و الإستبداد، و رأينا المجتمع يمرّ بالانحراف، و الطغاة تعبث فساداً و فسقاً في الحكم -و من يترأس الأمور- علينا أن نقوم بعمل كما قام به الحسين عليه السلام؛ و في كلّ زمن ظهر يزيد، يجب أن نتلمّذ في مدرسة الحسين عليه السلام ، علينا أن نقوم بعمل حسيني. هذا ما علّمنا الحسين بن علي عليه السلام ، و نحن أيضاً طبّقنا هذا في حياتنا، اليس كذلک؟ أي لقد طبّق شعبنا

هذا بشكل عملي، قام شعبنا بحركة حسينية و سار بسيرة إمامه الهمام و مشى على نهجه كما سار الإمام الخميني نفسه و تبعه الشعب و استطاعوا بذلک أن يحققوا حلماً و أملاً كان ينتظره المسلمون و المخلصون لأكثر من قرن، في مواجهة الأنظمة الفاسدة. لقد تحقق هذا الحلم و اليوم و بحمد الله يحكم المجتمع، نظام إسلامي. بالطبع يجب على هذا النظام أن يتّجه نحو النظام الإسلامي الأكمل و الأتمّ، بحيث هذا ما سنشاهده إن شاء الله تعالى في القريب العاجل. و هذا ما كان قد ضحّى الحسين بن علي عليه السلام من أجله، و تحمّل الصعاب و المشقّات و ضحّى بالغالي و النفيس لتحقيق هذا الهدف السّامي الكبير.

العمل الذي قام به الحسين عليه السلام، لم يحدث في العالم نظيره إلى يومنا هذا؛ أقولها ثانية، أنّ الشهادةغالية عندنا و الشهداء أعزّاء و أجلّاء بشكل كبير. ولكن لن تكون أيّة شهادة كشهادة الإمام الحسين و أصحابه و أهل بيته في عاشوراء و أرض كربلاء المقدّسة كما لاياتي يوم مثل يوم عاشوراء في تاريخ العالم الى يومنا هذا.

ما حدث في ذلک اليوم، غربة اولئک الشهداء و عدم وجود ناصر ينصرهم، المصائب و الصعوبات التي تحمّلوها و جرت عليهم في ذلک اليوم، كانوا يعلمون جيّداً بانّه لا يوجد أحد يجمع جثثهم من على الأرض. هذه الشهادة في الحقيقة تعتبر شهادة لايوجد لها مثيل في أي مكان من التاريخ، و لهذا أنّ الحسين سيدالشهداء جميعهم. لا يوجد أحد عاصر ظروف الإستشهاد

و طلب الشهادة كما ذاق طعمها الحسين و من كان معه من أصحابه في يوم عاشوراء. بالطبع أنّ الحسين واقف على القمّة، و نحن علينا أن نتحرّك من أسفل القمّة إلى ذروتها.

هذا هو المحرّك الذي حرّك ثورتنا؛ نحن سرنا و تحرّكنا بواسطة هذا المحرّك أيضاً. في تلك الظروف الخانقة و الحالكة، هؤلاء هم الذين ضحّوا بالغالي و النّفيس و قاموا بالكفاح و النضال و تحمّلوا أعباء السجن و تعرضوا للقتل، كما استشهد البعض منهم في تلك الفترة، أي هذا التحفيز و التشجيع و الحركة التي نقلها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة ابنه الحسين بن علي عليه السلام للمسلمين، حرّكت الامة و هزّت مشاعرهم.

في الوقت الراهن مهمّة المسلمين و رسالة الإمام الحسين عليه السلام لهم هذه أيضاً. هذه قضية الانسان والانسانية و هي موجودة في كلّ زمان و مكان. إذا تغاضى الانسان عن ذلك واصبح لايهتم بمصالح الأمة وأحكام الدين، سيكون مصيره مصير ذلك الظالم عند الله، فهما عند الله سواء. و نحن اليوم وفي الأوضاع الراهنة تقع على عاتقنا مهمّة كبرى في مواجهة الظالمين الذين أيديهم مصبوغة بدماء الأبرياء. نحن لانعتبر الحرب قد انتهت و لا نفكر أن الحركة الحسينية قد إنتهت اليوم، لازلنا نسير على دروب كربلاء و عاشوراء. كما على الشعب أن يشعر أنّه حاضر و متواجد في ساحة كربلاء. كما وقفتم أنتم الحسينيين في تلك الأيام بوجه محمد رضا الشاه الخائن بعد ألف و ثلاثمئة و خمسين سنة، عليكم اليوم ان تقفوا امام طواغيت كمحمد رضا

شاه الخائن -أي الإستكبار العالمي- لافرق في ذلک، هذه روح الحركة الحقيقية الإسلامية للمسلمين، ففي كل مكان و زمان تقام حركة لصيانة الإسلام و حفاظاً على حدود الله عزّ و جلّ و لإحياء الإسلام ثانية، فأنّها حركة حسينية، و أنّ هؤلاء الذين نهضوا لإنقاذ فلسطين، فأنّهم ساروا على نهج حركة الحسين عليه السلام. بلى، أنّها حقيقة و واقع صرّح بها بعض زعماء فلسطين و قادتهم، و أنّه لمن الواقع أنّ كلامهم في ذلک اليوم كان صواباً عندما قالوا نحن إستلهمنا الدروس و العبر من روح كربلاء و عاشوراء و من النهج الحسيني القويم، بلى هذه هي الحقيقة بالذات.

فأين ما تحدث مثل هذه الحركة في العالم، فأنّها بالتأكيد تتأسّى بنهضة الإمام الحسين عليه السلام و رسالته الخالدة، أنّ الحسين و أصحابه الأوفياء ساروا على الطريق بقوّة و حزموا عزيمة و إرادة.

كما لاحظتم أنّ الحسين عليه السلام و في طيلة الطريق كلّه من المدينة حتّى مكّة و خلال بقاءه لعدّة أشهر في مكّة و الفترة التي مرّوا بها من مكة حتّى كربلاء، أي منذ الثامن من ذي الحجّة حتّى اليوم الثاني من محرم، استغرق طي الطريق حوالي أربعة و عشرين يوماً، لقد طوى الإمام الحسين عليه السلام هذا الطريق دون أن يذكر له لحناً دفاعيّاً، كانت كلماته كلّها فيها صمود وتصميم وارادة وعزم. فكان عليه السلام يكلم كلّ من يتساءل، من اصحابه واقربائه في أمره، يجيبهم على سعتهم وفهمهم للموضوع، إذا كان شخصا من الصالحين وقليلي الصبر و لم تكن لديهم القدرة و الصبر اللازم،"مثل الفرزدق الشاعر، بالرغم من أنّه كان قلبه

مع الحسين عليه السلام، ولكن لم تكن لديه القوّة و القدرة لخوض غمار الحرب، أو مثل أمّ سلمة تلك المرأة العجوز التي لاينبغي إيذاؤها و إزعاجها، أو مثل محمد بن الحنفية، الذي جاء للمرة الثانية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام و هو مريض -كان محمد بن الحنفية مريضاً و لربّما إذا لم يكن في تلك الحالة الصحيّة غير المستقرّة لذهب مع الحسين عليه السلام ". في مثل هذه الحالات كان يردّ الإمام الحسين عليه السلام بجواب مناسب و بإجابات مختصرة، مفيدة و مسكتة: «كلّ ما يرضاه الله عزّ و جلّ»، «كلّ ما يريد أن يحدث»، «فنحن جاهزون لذلك»، «قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا»، و كان يقول من مثل هذه الكلمات، «علينا أن ننتظر ماذا سيحدث»، و هذا ما قاله في جواب محمد بن الحنفية.

يتكلّم الإمام بحزم و صرامة مع من يريد التحدّث معه، عندما ترك وليد بن عتبة الحسين على هذه الحالة، و سخط يزيد عليه و أقالوه من ولاية المدينة، و عيّنوا عمرو بن سعيد بن العاص والياً [على المدينة] بدلاً منه، عندما أراد الإمام الحسين أن ينطلق من مكّة، جاء عمرو بن سعيد زائراً لبيت الله الحرام إلى مكّة، كان والياً و حسب الصدفة كان متواجداً في مكّة، وكان عبدالله بن جعفر زوج السيدة زينب عليها السلام قد أخذ منه صكّ الأمان، فاسرع نحو الحسين في خارج مكّة و قال: سيدي هذه رسالة الأمان، أرجو أن لاتنطلق و لاتذهب و ابقِ في مكة حتى ننتظر ما سيحدث.

لقد تكلّم الإمام هنا بحزم و قوّة و قال: أنّ الأمان من عند الله فقط. من يمتلک أمان الله، لايحتاج لأمان غيره. يتكلّمون بغطرسة و أنانيّة.

حتّى في ذلک الوقت الذي وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، و في الوقت الذي دخل فيه عمر بن سعد كربلاء، في اليوم الثالث من محرم، لفترة ما، جرى حوار بين الإمام الحسين عليه السلام و عمر بن سعد إستغرق عدّة أيّام؛ جاء عمربن سعد لعدّة مرّات إلى باب خيمة الإمام الحسين عليه السلام و ليس معه أحد، تحدّثوا مع بعض؛ في إحدى هذه المحادثات كان خطاب عمر بن سعد للإمام خطاب متغطرس و منبعث عن الكبرياء و العجرفة؛ عليكم أن تتصوروا هذا الوضع في مثل هذه الحالة؛ الإمام الحسين عليه السلام، الشخص الذي قام بنهضة و وفد إلى هذه الصحراء و في ظاهر الأمر تمت محاصرته هناک، كان هذا ظاهر ألامر، الإمام و بمعيّته الأطفال و النساء، بخمسين أو ستين أو أربعين شخصاً، شاباً و شيبة، في ذلک اليوم لم يصل عددهم إلى سبعين شخصاً، في هذه الصحراء القاحلة؛ يحوطونهم الآلاف من الجند المسلحين والعملاء الذين تمّ شراؤهم بالمال و الدّراهم؛ جاؤوا هنا ليقتلوا البشر، حيوانات وحشية، أي «عسلانُ الفلوات» و الذي قالها الإمام عليه السلام في مكّة: «كأنّي بأوصالي يقطّعها عسلان الفلوات بين النّواويس و كربلاء»[1]. هؤلاء ذئاب الصحراء الشرسة و الذين يحملون معهم السيوف و الرّماح و أفواههم مفتوحة

۱. بحار الأنوار، تتمة كتاب تاريخ فاطمة و الحسن و الحسين.

تنتظر مكرمة اميرهم عبيدالله؛ عدد منهم قام بمحاصرة الإمام الحسين عليه السلام و مداهمته بهذه الطريقة.

نعم، كان ظاهر القضية يوحي، بأنّ الإمام الحسين تمّت محاصرته في هذا المكان. في مثل هذا الوضع، تصوّروا كيف سيكون لحن الإنسان، في مثل هذه الاوضاع يدخل ذلك القائد الذي يبدو ان جيشه منتصراً، خيمة الإمام. ما هو الحديث الذي سيدور بينهما في الخيمة؟

في طبيعة الحال، سيلقي بالأئمة على الإمام، لماذا وفدت إلى هنا سيّدي؟ و يقول له الإمام، هذا أمر قد حدث، سنفعل عملاً ما؛ ولكن نرى عكس ذلك. عندما يأتي إلى داخل خيمة الحسين، يسأله الإمام يابن سعد! لماذا لم ترغب بمرافقتنا في الحركة و لم تنهض؟ يقول له أنّ أطفالي بقوا هناك و هم محاصرون، يقول له الإمام إذهب و لاتحاربنا و لاتطع ما يقوله لك عبيدالله. يقول: لم أستطع فعل ذلك، و أخاف عقباها، سيهاجموننني و ينهبون أموالي، وضعه الإمام في موقف حرج، يعترضون عليه و هو يأتي بصدد الإعتذار من الحسين عليه السلام. هذه هي النفسية القويّة و الحازمة.

بالطبع و حينما ظهرت معالم الشهادة و تبيّن أنّ أمر الشهادة سيكون محسوماً، عندها كان لحن الإمام الحسين عليه السلام مع أقربائه و أعزّاءه و أصحابه الأوفياء لحناً خاصاً. عندما أقول أصبحت الشهادة معلومة و حتميّة للإمام الحسين عليه السلام، ليس بمعنى أنّ الإمام عندما سار من مكة لايعلم أنّه سيقتل هناك، لا

بل هذا سيفهمه حتّى الشخص الذي لا يمتلك علم الإمام عليه السلام و معرفته.

كما فهم الفرزدق ذلك، و فطنه أيضاً عدد من الذين جاؤوا من الكوفة، و الجميع من كان هناك لقد إستوعب أنّ هذه الحركة في تلك الفترة ستكون دمويّة، و سيقتل الحسين بن علي عليه السلام فيها. كان الإمام يعلم هذا جيّداً، و وفقاً لما أنبأ به الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. أنّ عمر الأطرف، شقيق الإمام الحسين و إبن أمير المؤمنين عليه السلام، جاء و ذكّر الإمام في مكة قائلاً: يا أخي؛ ألا تتذكّر ما قاله النبّي أنّ الحسين عليه السلام سيقتل، هل سيقتل في العراق؟ هل ستذهب تحت هذه الظروف إلى العراق؟ هل ستذهب بنفسك إلى القتل. قال الإمام هل تتصور لا أعرف ما تعرفه؟ ما تتذكّره أنت لم أنسه أنا. أعلم أنّي سأقتل هناك. ولكن ليست القضية أنّ الحسين يخاف من أن يقتل و يأبى ذلك، كما أنّ القتل في العراق كان له أنواع و أزمنة مختلفة.

في فترة من الزمن، لقد تبيّن للجميع أنّ الحسين سينال الشهادة في هذا المكان.

عندها تغيّر لحن الحسين و حينها رأى الحسين عليه السلام منهم أصحابه الصادقين في تلك اللحظات الحاسمة.

الآن يجب أن نتكلّم قليلاً حول شخصية السيدة زينب الكبرى عليها السلام. في الحقيقة لم تكن كربلاء بدون زينب كربلاء. إذا لم تكن زينب الكبرى في عاشوراء، فلن و لم تخلّد تلك الواقعة

التاريخية العظيمة. كانت شخصية بنت الإمام علي عليه السلام بارزة و مميزة من بداية الواقعة حتّى نهايتها بشكل كبير، بحيث يشعر الإنسان بأنّها حسين ثان في رداء و حجاب إمرأة. في لباس بنت علي عليه السلام. اذا فرضنا ان زينب ما كانت في كربلاء، ماذا كان سيحدث في عاشوراء، لربّما كان السجاد يقتل ولا تصل رسالة الحسين عليه السلام لأي أحد من الناس. في تلك الفترة و قبل إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كانت زينب كالصديق و المؤنس للإمام، لايشعر الحسين بالوحدة و الوحشة و التعب معها، في مثل هذا الدور المهمّ يرى الإنسان وجود السيدة زينب عليها السلام و حركاتها و سكناتها.

لقد شعرت السيدة زينب عليها السلام مرّتين بالقلق، احداها يوم كانت في إحدى المنازل، حين سمعت إستشهاد مسلم بن عقيل، جاء الإمام اليها و نقل بعض الأخبار لها، ذكرت قلقها للحسين بن علي عليه السلام. السيدة زينب إمرأة و لديها مشاعر و عواطف جيّاشة، بمشاعر إمرأة لطيفة، هؤلاء هم آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أريد ان قول هذا، انها وقفت بنفس القوّة و الشجاعة و الصمود أمام المصائب، أنّهم مظهر الينابيع الجياشة و الصافية للمشاعر الإنسانية و الرّحمة البشرية. نعم ها هم آل البيت أنفسهم. منهم الحسين بن علي عليه السلام على سبيل المثال، ذلك الرجل الذي وقف وحيداً فريداً أمام عالم من المناوئين و المخالفين و ذئاب جائعة، لم يأبى الموت و لايخاف من أي شيء، كما أنّه بروحه اللطيفة يتأثّر بأشياء صغيرة جدّاً، على سبيل المثال عندما سقط

ذلک الغلام الحبشي على الأرض، جاء الإمام و جلس الإمام عند رأسه، نعم أنّه غلام زنجي و أسود و لكنّه من المخلصين و محبّي الحسين عليه السلام. لربّما كان جُون غلام أبي ذر و لم يتمتع بمكانة إجتماعية و ثقافية في تلک الأيام بين المسلمين، و في النهاية لايحظى بدرجة رفيعة، ولكنّه عندما ذاق طعم الشهادة، حضر الإمام مشهده، ذاقها مثل الكثير من نبلاء الكوفة و شخصياتها الشهيرة مثل حبيب بن مظاهر و زهير بن القين و آخرون - كلّ هؤلاء يعدّون من رجالات الكوفة الكبار و المعروفين- ولكن لم يبرز الإمام هذه العواطف لأولئک. لقد خاطب الإمام مسلم بن عوسجة قائلاً: ستنال الأجر من الله سبحانه و تعالى ولكن أمام هذا الغلام الأسود الذي لا أحد له، ليس عنده طفل و لا أسرة تنتظره و تبكي عليه، جاء الحسين بن علي عليه السلام و قام بنفس الحركات التي قام بها حين إستشهاد علي الأكبر على جثمانه. لقد جلس أمام رأس ذلک الغلام و وضع رأسه في حجره و لكن لم يهدأ قلبه الشريف، في لحظة ما راه الجميع أنّه إنحنى و وضع وجهه الكريم على وجه ذلک الغلام الأسود، هكذا هي مشاعر و عواطفه الإنسانية العظيمة.

و كذلک زينب فإنها إمرأة بعواطف و مشاعر جيّاشة في ذلک الوقت، و ليست إمرأة عاديّة، أخت الإمام الحسين، أخته التي كانت تحبّه كثيراً، الأخت الذي تركت زوجها و أسرتها و جاءت مع الحسين عليه السلام. لم تأت بمفردها، بل جاءت بأولادها عون و محمد. أنا أحتمل أنّ عبدالله بن جعفر حتّى لم يكن راضياً

بذهاب أولاده إلى هناك. لم أتيقّن أنّ عبدالله كان موافقاً لذهابهما مع الحسين، ولكنّ زينب اتت بهما ألى كربلاء، حتى يكونا معها، و ينالا رحيق الشهادة في سبيل الله سبحانه و تعالى.

لقد شعرت الآن في الطريق و بتواجدهم بإحدى المنازل أنّ الوضع بدا خطيراً، فقالت لأخيها الحسين عليه السلام: يا أخي لقد شعرت بالخطر، أرى الوضع خطيراً. أنّها تعلم جيّداً، أنّ القضية قضية شهادة و أسر، ولكن مازال ثقل المصائب يثقل كاهلها و تذهب نحو الحسين عليه السلام. لم يقل لها الحسين هنا الشيء الكثير. قال لها، ما قدّره الله سيحدث بالتأكيد و هو مصداق لهذه العبارة «ما شاء الله، كان». لم نرَ شيئاً آخراً من زينب عليها السلام تقوله للحسين أو تسأل منه، أو ترى ضغطاً في غرارة نفسها و قامت بنقله للحسين عليه السلام، إلّا في يوم عاشوراء.

أوّل ليلة من عاشوراء، ذلك المكان الذي لربّما زينب الكبرى عليها السلام شعرت فيه شدّة المأساة -يروي هذه القضية- الإمام السجاد عليه السلام، كان ذلك الإمام الهمام مريضاً في وقتها. يقول السّجاد عليه السلام أنّي كنت مريضاً و نائماً في الخيمة و كانت عمّتي زينب في جواري جالسة و تقوم بإطعامي، كما كانت خيمة أبي، الحسين في جوار خيمتنا و كان جُون غلام أبي ذر يصقل سيف الإمام. كانوا يجهّزون أنفسهم لقتال يوم غد. لقد رأيت أبي يردد أشعاراً كان مضمونها:

«يا دهرُ أفٍّ لكَ من خليلِ كم لكَ بالإشراقِ و الأصيلِ»[1]

١. بحارالانوار/ تتمةكتاب تاريخ فاطمة و الحسن و الحسين، باب ٧٣، ح١.

هذا إن دلّ، إنّما يدلّ على منشد هذه الأشعار و الذي هو واثق من نفسه أنّه سيفارق الحياة عاجلاً غير آجل. قال الإمام السجاد عليه السلام: لقد سمعت هذا الشعر و فهمت معناه و مضمونه، و علمت أنّ الحسين ينبأ بخبر إستشهاده. ولكن تماسكت نفسي، فجأة نظرت إلى عمّتي زينب فرأيتها حزينة جدّاً. نهضت من مكانها و ذهبت إلى خيمة أخيها و قالت يا أخي! أراك تنبئ بخبر شهادتك. لحد الآن كان قلبي بك مطمئنّاً. عندما رحل أبي عن الدنيا، قلنا أن أخانا لازال موجوداً. بعد ذلك عندما رحل الإمام الحسن عليه السلام من الدنيا، قلنا لازال الحسين موجوداً، لقد قضينا أعواماً آمنين بوجودك معنا، أراك اليوم تنبئ بخبر قتلك هنا. بالطبع كان الحقّ للسيدة زينب بأن تحزن لهذا الأمر.

أنا أتصوّر، أن الوضع الذي حدث للسيدة زينب في تلك الواقعة، كان وضعاً فريداً و إستثنائيّاً. لا يمكن أن نقارن أيّ إمرأة و حتّى الإمام السجاد بالوضع الذي مرّت به زينب عليها السلام، لقد مرّت بوضع صعب لايطاق.

جميع الرجال لقد استشهدوا في يوم عاشوراء. في عصر يوم عاشوراء لايوجد أي رجل في المخيمات، إلّا الإمام السجّاد عليه السلام و الذي كان مريضاً مرميّاً على الأرض يمرّ بالغيبوبة. لاحظوا أن المخيمات التي كانت تضمّ في داخلها عشرين أو أربعة و عشرين إمرأة و طفلا صغيراً محاصرين بين الأعداء، ما أصعب أمورهم، البعض جائع و البعض الآخر عطشان، أو يمكن القول أنّ الجميع كان ظمانين و جياعاً، قلوب الجميع خائفة ترتجف، أجساد

الشهداء مقطّعة إرباً إرباً، مرميّة على الأرض، البعض كان أخاً لهؤلاء و البعض الآخر إبنهم. على أية حال، كانت الواقعة أليمة و موحشة جدّاً. يجب أن يكون شخص يجمع شمل هذا القوم، تلك الشخصية كانت السيدة زينب عليها السلام لم تفقد زينب أخاها أو إبنيها و باقي إخوانها فقط، كل هؤلاء الأعزّاء و ثمانية عشر من خيرة شباب بني هاشم و أصحابهم الأوفياء قد فقدتهم، في جانب هذا الأمر المرير و الأهمّ من ذلك هو الحفاظ على هذه القافلة المتبعثرة المتفرّقة و إدارتها، حتى يجب عليها أن تقوم بإدارة شؤون الإمام السجّاد أيضاً.

لهذا كانت زينب و بعد لحظات من وقوع تلك الواقعة، في تلك الساعة التي ساروا فيها و تبيّن غرض الأعداء و ما الذي سيفعلونه بهم، في تلك الساعات القليلة و في تلك الليلة المظلمة و الحالكة و القارسة، الله أعلم ما هي اللحظات التي مرّت بها زينب الكبرى عليها السلام. كانت زينب تتجوّل بين الخيام و الأطفال، تذهب إلى جانب تلك الأمّ الحزينة و ذلك الطفل الصغير، تجمع الشّمل و تقوم بمواساتهم جميعاً.

في لحظة ما ينفذ صبر زينب و تخاطب أخاها الشهيد، كان ملاذها و ملجأها الوحيد.

يروى أنّ زينب عليها السلام جاءت و وقفت على جثمان أخيها المقتول و المقطّعة أشلاؤه على الأرض و صرخت من أعماق قلبها:

«يا محمّداه! صلّى عليك ملائكة السّماء»[1]

١. اللهوف، في وصف الحال القتال و ما يقرب من تلك الحال.

«هذا الحسين مرمّلٌ بالدّماء»

لا حول و لاقوّة إلّا بالله العلي العظيم.

إلهي! بحرمة دماء شهداء كربلاء، إجعلنا من أتباع و موالين الحسين و عاشوراء.

إلهي! بحقّ محمد و آل محمد، إحفظ لنا هذه الدولة الإسلامية الكريمة، و التي جاءت حصيلة دم الحسين و أتباعه حتّى ظهور الحجة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

إلهي مُنّ علينا بالهداية ! ساعدنا يا الله و أرنا الطّريق الصحيح يا الله.

إلهي! أفرج عنّا همومنا و اهزم أعداءنا، وإجعل النصر نصيبنا في المجالات المختلفة، إنّک سميع مجيب.

و ما التوفيق إلّا من عند الله العلي العظيم

(والسلام)